الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانـة
كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ

جامع الزيتونة ودوره التعليمي والسياسي
(1870-1934)

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي

من إعداد الطالبتين:
فاطمة مناد
أحلام غازي

إشراف الاستاذ:
عبد الرحمان تونسي

السنة الجامعية: 2016/2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهـــــــداء

إلى من ربياني صغيرة وسهرا وكدا من أجلي الى والدي الكريمين حفظهما الله:

أمي الغالية بختة التي سكبت في عروقي الحب والحنان والتضحية .

أبي العزيز بن يحي الذي كد وتعب من أجل أن نحيا كرماء.

إلى أشقائي الأحبة إلى شقيقاتي الغاليات.

إلى كل عائلة مناد دون أن ننسى الكتاكيت الصغار .

إلى روح جدتي التي توفيت وأنا بالمكتبة المركزية أنجز أحد البحوث العلمية.

إلى كل صديقاتي بالجامعة وزميلاتي في معهد العلوم الانسانية وكل من يعرفني من بعيد أو قريب وآمل أني لم أنسى أحدا.

إلى الشموع التي احترقت من أجل الجزائر علماء وشهداء الذين وهبوا أنفسهم وضحوا بحياتهم من أجل أن تحيا الجزائر حرة عربية مسلمة.

إلى كل هؤلاء أقدم هذا العمل المتواضع وأسأل الله أن يتقبله عنده من الأعمال الصالحات.

فاطمة

الاهـــــــداء

أهدي هذا العمل إلى أغلى الناس على قلبي اللذان ألهماني روح الصبر وغمراني بعطفهما وحنانهما:

أمي الغالية التي سكبت في عروقي الحب والحنان والتضحية لا عاش من ينشؤها.

أبي الذي أفنا حياته لتربيتي ورعايتي.

إلى أشقائي الأحبة إلى شقيقاتي الغاليات إلى فاطمة الزهراء التي وافتها المنية الأسابيع الماضية.

إلى زميلاتي وزملائي بالدراسة وبالأخص اكبر سند في حياتيجلال، وإلى كل من أسهم في مساعدتي من قريب أو بعيد.

إلى بناة جامع الزيتونة وصناع تاريخه المجيد.

إلى أرواح الشهداء ودماء الأبرياء ودموع اليتامى.

إلى وطني الغالي الجزائر، إلى الشقيقة تونس.

إلى هؤلاء اهدي عملي.

أحـــــــلام

شكـــــــر وعرفان

لا يسعني في هذا البحث الا أن أتقدم بالشكر الجزيل الى الله سبحانه وتعالى الذي لولاه لما كان هذا العمل على ما هو عليه ثم الى أستاذنا الفاضل الأستاذ تونسي عبد الرحمان الذي أشرف علينا لانجاز هذا الموضوع بنصائحه السديدة التي كنا نتلقاها منه فكانت تبعث فينا الأمل وتحفزنا على العمل على حساب وقته الثمين وهذا كله من أجل اتمام عملنا في آجاله المحددة وأسأل الله أن يجعل هذا المجهود في ميزان حسناته.

كما أتقدم بالشكر والامتنان الى والدينا اللذان لم يبخلا علينا بالدعاء لنا بالنجاح والتوفيق طوال مشوارنا.

دون أن ننسى كل أساتذة قسم التاريخ الذين أناروا لنا طريق العلم والمعرفة وكل من شجعني ومد يد العون في انجازي لهذا البحث.

إلى كل هؤولاء أهدي شكري وإمتناني من أعماق قلبي

شكر وعرفان:

لا يسعني في هذا البحث الا أن أتقدم بالشكر الجزيل الى الله سبحانه وتعالى الذي لولاه لما كان هذا العمل على ما هو عليه ثم الى أستاذنا الفاضل الأستاذ تونسي عبد الرحمان الذي أشرف علينا لانجاز هذا الموضوع بنصائحه السديدة التي كنا نتلقاها منه فكانت تبعث فينا الأمل وتحفزنا على العمل على حساب وقته الثمين وهذا كله من أجل اتمام عملنا في آجاله المحددة وأسأل الله أن يجعل هذا المجهود في ميزان حسناته.

كما أتقدم بالشكر والامتنان الى والدينا اللذان لم يبخلا علينا بالدعاء لنا بالنجاح والتوفيق طوال مشوارنا.

دون أن ننسى كل أساتذة قسم التاريخ الذين أناروا لنا طريق العلم والمعرفة وكل من شجعني ومد يد العون في انجازي لهذا البحث.

الى كل هؤولاء أهدي شكري وامتناني من أعماق قلبي

قائمة المختصرات:

م	التاريخ الميلادي
هـ	التاريخ الهجري
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ص ص	تعدد الصفحات
تق	تقديم
ج	جزء
د ط	دون طبعة
ص	الصفحة
ط	الطبعة
ع	العدد
مج	مجلد
p	page

الملخص:

جامع الزيتونة أول جامعة في العالم الإسلامي، وهو جامعة وجامع بمدينة تونس، وهو أقدم جامع في تونس بعد المسجد الجامع في القيروان. يعد ثاني الجوامع التي بنيت في أفريقية بعد جامع عقبة بن نافع في القيروان. يرجح المؤرخون أن من أمر ببنائه هو حسان بن النعمان عام 79 هـ وقام عبيد الله بن الحبحاب بإتمام عمارته يف 116 هـ الموافق بـ 736م. كان جامع الزيتونة محور عناية الخلفاء والأمراء الذين تعاقبوا على إفريقية، إلا أن الغلبة كانت للبصمات الأغلبية ولمنحى محاكاته بجامع القيروان، وقد منحته تلك البصمات عناصر يتميز بها إلى اليوم.

اتخذ مفهوم الجامعة الإسلامية منذ تأسيسه وتثبيت مكانته كمركز للتدريس وقد لعب الجامع دورا طليعيا في نشر الثقافة العربية الإسلامية في بلاد المغرب، وفي رحابه تأسست أول مدرسة فكرية بإفريقية، ولقد تخرج من الزيتونة طوال مسيرتها آلاف العلماء والمصلحين الذين عملوا على إصلاح أمة الإسلام والنهوض بها. إذ لم تكتف جامعة الزيتونة بأن تكون منارة تشع بعلمها وفكرها في العالم وتساهم في مسيرة الإبداع والتقدم وتقوم على العلم الصحيح والمعرفة الحقة والقيم الإسلامية السمحة، وإنما كانت إلى ذلك ّ قاعدة للتحرر و التحرير من خلال إعداد الزعامات الوطنية وترسيخ الوعي بالهوية العربية الإسلامية.

وقد ساهم جامع الزيتونة خلال فترة الاستعمار الفرنسي في المحافظة على الثقافة العربية الإسلامية لتونس، وقاوم بصلابة محاولات القضاء على انتماء تونس العربي الإسلامي، وكان جامع الزيتونة هو المدافع عن اللغة العربية يف هذه الفترة الحرجة من تاريخ تونس بعد أن فقدت اللغة العربية كل امل المدافعين عنها حتت تأثري وسيطرة الاستعمار، مما جعل الحاكم الفرنسي لتونس يقول:" عندما قدمت الى تونس وجدت أكثر من عشرين ألف مدافع" وهو يقصد طلاب العلم في جامع الزيتونة.

summary

Zeitouna Mosque is the first university in the Muslim world after the mosque in Kairouan, it was built from the command of Hasan ibn al-Nu'man in 79 H, and Obaidullah bin Habhab completed his building at 116 H, corresponding to 736 Ac. Zeitoun Mosque was the focus of attention of the caliphs and princes, who led Tunisia, but the Ghalibides was for the majority fingerprints and turn emulate Mosque of Kairouan, has been awarded by those elements of the fingerprint is characterized by the day. Has taken the concept of the Islamic University since its inception and install its position as a center for teaching has played a leading role in the combined deployment of Arab and Islamic culture in the Maghreb. He graduated from Zaytuna throughout her career thousands of scientists and reformers who worked on the reform of the Nation of Islam and advancement, and it was the base of the emancipation and liberation through the preparation of national leaders and consolidate awareness of Islamic Arab identity. Zeitouna Mosque contributed during the period of French colonialism in maintaining the Arab-Islamic culture of Tunisia, and firmly resisted attempts to eliminate the Arab and Islamic affiliation.

مقدمة

الحمد لله المحمود بكل لسان معبود في كل زمان،الذي لا يخلو من علمه مكان و لا يشغله شان عن شان و الحمد لله على كل حال و أمام كل حاجة سؤال فلا علم لنا إلا ما علمنا فهو الذي وهبنا المقدرة على العمل و الوصول إلى المبتغى، ومن مشيئته أن جعل بعض بقاع الأرض أيمن من بعض و الحكمة لمن عم حكمه و ملكوته الطول و العرض .
أما بعد:

من هذه البقاع المقدسة جامع الزيتونة بتونس الذي يعد احد أقدم المعاهد التعليمية العربية،حمل لواء الثقافة القومية منذ قرون مضت ، وحافظ على المقومات الحضارية لمنطقة تونس و دول المغرب العربي ككل وقد استطاع أن ينشئ جسرا دائما يربط بين التونسيين و المغاربة، هؤلاء الأخيرين الذين كانوا ينظرون إليه انه الحارس الأمين للتراث القومي، ويشعرون بعمق الصلة التي تربطهم به ولا احد منا يستطيع أن ينكر المكانة المرموقة التي يحتلها جامع الزيتونة في نفوس التونسيين فقد تحول جامع الزيتونة إلى جامعة حقيقية لتدريس الفقه والأدب والتاريخ والفلسفة و الرياضيات ،ثم أضحى مركزا ثقافي تعليمي للمغرب العربي كله يؤمه الطلاب من مختلف الأقطار وعمت سمعته المشرق و المغرب.

كان جامع الزيتونة مصنعا لرجال أفذاذ قادوا الحركة العلمية لشعوبهم قبل ان يقودوا حياتهم ومن هؤلاء خير الدين التونسي وابن باديس الجزائري،فكانوا منارات للهدى والعلم وعلامات لطريق السداد،وأسهموا في تحطيم أطواق الجمود و التقليد التي قيدت العقل المسلم وخاصة في إطار النظام الاسمي لجامع الزيتونة وبرامجه التربوية، فأصبح منبعا للعلوم في هذا القطر والكلية الوحيدة التي تدرس فيها علوم الشريعة والعلوم العربية واحد المعاقل التي تضيء على العالم اجمع وهي مناخ للدين بالأصقاع الثلاثة.

ولقد اعتزت تونس بكونها قصبة من قصبات العروبة والإسلام في شمال إفريقيا،و اعتزت بان بلادها تحتضن جامع الزيتونة، أقدم الجامعات الإسلامية في العالم العربي وهي الجامعة التي أخرجت من الرجال يعتزون بإسلامهم، وكانت تونس أفادت من الحركة

الإصلاحية لخير الدين التونسي وأخرجت لتونس والعالم العربي عددا من رواد الحركة الوطنية التحريرية منهم عبد العزيز الثعالبي وعلي باش حمية وما يمثله الجامع الأعظم كنواة أولى كمعقل للحركة الوطنية التونسية، إذ أصبح الزيتونيين العنصر الذي حمل على عاتقه العمل الوطني السياسي الذي انبثق من تأسيس حركة الشباب التونسي وحزب تونس الفتاة والحزب الحر الدستوري هذا الأخير الذي مثل الحركة الوطنية الصحيحة .

ولا احد منا يستطيع أن يتغاضى عن ما قامت به السلطات الاستعمارية الفرنسية في حق الشعب التونسي والقادة السياسيين من خلال سياستها القهرية وحل الأحزاب وتشريد ونفي الزعماء حيث استهلت سياستها بعمليات القتل وتسليط العقوبات الجماعية ناهيك عن إصدار مجموعة من المشاريع.

ولقد توخينا لدى معالجتنا لهذا الموضوع تحقيق الأهداف التالية:

- تنمية الشخصية السوية للقارئ وتزويده بحقائق ومعلومات تعرفه بمنارة تونس والشمال الإفريقي جامع الزيتونة المعمور الذي يعد رمزا للحضارة و الوحدة التونسية،وإبراز المكانة التي حظي بها في القطر الإفريقي .

-التعرف على الجوانب الخفية و المجهولة عن تاريخ ونشأة جامع الزيتونة وتحديد معالم مستقبله،وإبراز الروابط المتينة بينه وبين طلابه سواء العلمية أو السياسية وعلاقته بالمغاربة بشكل عام والشعب التونسي بشكل خاص.

-اكتشاف الاختلافات التي تناولها مؤرخي التاريخ حول نشأة ونسب جامع الزيتونة والتطورات التي حدثت له عبر التاريخ، والقدرة على التمييز بين الحقائق ووجهات النظر.

القدرة على استخدام المراجع التاريخية و المصادر المتاحة وغرس روح البحث ولتحقيق الفائدة وضعنا معظم الفصول بمجموعة من المراجع التي نام لان يرجع إليها القارئ لفهم

أكثر مجمل أحداث التي عاصرها جامع الزيتونة والدور الذي لعبه كنقطة هامة للحركة العلمية والسياسية .

وأملنا كبير أن يحقق موضوع بحثنا الأهداف المنشودة وان يكون عونا لطلاب الدراسات حول هذه المؤسسة التعليمية ونرجو من أساتذتناالكرام ان لا يبخلو ا علينا بأدق الملاحظات والآراء حول بحثنا التي ينير لنا الطريق ولتتظاهر جهودنا حول السعي أكثر لمزيد من النجاحات.

أما أسباب اختيار الموضوع :

تعود دوافع اختياري للموضوع إلى الرغبة في التعرف على حقيقة جامع الزيتونة من حيث النشأة والتاريخ والوقوف على أهم الأحداث التي عرفها الجامع عبر الأزمنة وما شدني كذلك الوقوف على اختلافات مؤرخي تاريخ الجامع الأعظم والذين نجدهم لا يأخذون نفس التوجه من حيث النسب وكذا سنة التأسيس.

الرغبة الملحة في معرفة الدور التعليمي الذي اشتغلت هذه المؤسسة التربوية من خلال تخريج دفعات طلابية وعلماء مصلحين، والر غبة في التعرف على النظام التعليمي السائد بالجامع وبرامجه وكيفية تصنيف المتعلمين حسب الأطوار والتعرف على مكتبات الجامع وخزائنه ومؤسسيها.

الرغبة الملحة في التعرف على رجال الإصلاح والتجديد، وعلاقة هذا الإصلاح بجامع الزيتونة الذي تمخض عنه رجال إصلاح عظام أمثال خير الدين التونسي الذي لقب بابي النهضة التونسية الحديثة، واسهم في محاربة الفساد وتحديث البني والمؤسسات العلمية منها تفعيل دور المدرسة الصادقية لتدريس العلوم والمعارف الجديدة .

وما دفعنا كذلك هو تقدير مهمة ومكانة جامع الزيتونة كمؤسسة تربوية تعليمية ثقافية حضارية، سياسية، اجتماعية إلى جانب انه مكان للعبادة.

الرغبة الملحة في معرفة الدور السياسي الذي لعبه جامع الزيتونة ومحاولة ابراز الدور السياسي الزيتوني الذي كان نواته جامع الزيتونة وتبيان العنصر الزيتوني الذي قام على كاهله العمل السياسي وخاصة ما له مساس بالدين،وإبراز حقيقة الشباب التونسي وعلاقته بوطنه كالدور الذي لعبه عبد العزيز الثعالبي في تبلور الفكر السياسي في نفسية الشباب.

محاولة منا اكتشاف نظرة وموقف السلطات الفرنسية منه والمشاريع التي كانت تطبقها في حقه من خلال محاربة طلابه ومحاولة تفرقتهم.

ولعل ابرز دافع هو حث أساتذتنا وبالأخص عبد الرحمان تونسي على توسيع مداركنا حول تاريخ جامع الزيتونة ودوره كمفخرة تونسية وعربية وصل صيتها الى دول المشرق والمغرب وارتقت علومها،كذلك أمام قلة البحوث الأكاديمية عن الموضوع من الناحية دورها التعليمي والسياسي، كما أردنا معرفة المزيد من الحقائق الخفية عن الجامع المعمور بتونس، فقد أسهم في عرض قضية بلاده من منظور جديد وهي نظرة الزيتوني وحتى غير الزيتوني.

أما سبب اختيارنا لسنة 1870 فيرجع إلى أهم إصلاحات حدثت بالجامع وهي إصلاحات خير الدين الذي كان متأثرا بالغرب، وسنة 1934 تعود بداية انشقاق بين اعضاء الحزب الحر التونسي نتيجة السياسة الفرنسية بالبلاد، وانعقاد مؤتمر قصر هلال الذي تم فيه اعلان الحزب الحر الدستوري الجديد.

إشكالية البحث:

إن إشكالية هذا الموضوع ارتبط في تجسيدها مجموعة من الأحداث و المسببات التي أصبحت واضحة و البعض الأخر منها بقيت غامضة،لان جامع الزيتونة و الدور التعليمي و السياسي يتزامن مع تطور هذه الأحداث سواء الداخلية منها أو الخارجية،فقد كانت كل المؤشرات تؤكد على دور هذه المؤسسة الإسلامية فقد جسدت إلى جانب العبادة مهمات

أساسية في مختلف الجوانب منها التعليمي والسياسي وبذلك تتمحور إشكالية موضوعنا كالتالي: ما هي الأدوار الهامة لجامع الزيتونة، وللإجابة عليها نطرح التساؤلات التالية:

1. كيف كانت نشأة جامع الزيتونة؟ وما هي ابرز الترميمات التي طرأت عليه عبر التاريخ؟

2ـ باعتبار جامع الزيتونة مكان للعبادة. فهل كانت له مهام أخرى؟ وما هي ابرز الإصلاحات التعليمية التي طرأت في نظامه؟.

3. وهل كان للجامع تأثيرات على مختلف طلاب العلم؟ وماهي ابرز نضالا ته ضد السياسة الفرنسية؟ وكيف كان رد فعل هذه الأخيرة؟

المناهج المعتمدة في البحث: وقد اعتمدنا على منهجين أساسيين في هذه الدراسة.

المنهج التاريخي الوصفي: وقد طبقنها في رصد الأحداث وترتيبها، فاتبعناه عندما استعرضنا تاريخ جامع الزيتونة بان وصفت مختلف الأحداث والوقائع التاريخية حسب تشعبها وتسلسلها وتأثيراتها، فوصفت مختلف أجزاء الجامع عبر العهود التي مر بها.

المنهج التحليلي: واستعملناه في تحليل أفكار الموضوع وتحليل مختلف جوانبه وفي المواقف التي صدرت عن سياسي جامع الزيتونة طيلة فترة نضالهم اتجاه السياسة الاستعمارية في سبيل الحصول على الاستقلال والحرية، وكذا تحليل مواقف كل من التونسيين والفرنسيين في معترك اتجاهاتهم.

خطة البحث : كانت معالجتنا للموضوع وفق الخطة التالية:

لقد وزعنا المادة التاريخية التي بين أيدينا إلى ثلاثة فصول بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة وكل فصل يحتوي على مبحثين.

وأبـرزت فـي المقدمـة الأهـداف التـي يرمـي اليهـا الموضـوع واسـباب اختيـاره والمنـاهج العلميـة التـي اتبعناها فـي تقديم ومعالجـة الموضـوع وكـذلك الصـعوبات التـي واجهتنـا اثنـاء انجازنا له .

الفصـل الأول: تناولنـا فيـه نشـأة جـامع الزيتونـة وتطـوره عبـر التـاريخ، اشـتمل علـى مبحثين: المبحث الأول احتوى عدة نقاط أهمها التعريف بالجامع تأسيسه واصل التسمية، ومكانته، أما المبحث الثاني تناولنا فيه الجامع عبر التاريخ احتوى عدة عناصر أهمها جامع الزيتونـة في عهد الولاة، ثم العهد الاغلبي، يليه العهد الفاطمي، والحفصي ثم في ظل الفتح العثماني إلى ظهور الدولة المرادية الى العهد الحسيني، وأخيرا في عهد الجمهورية.

الفصل الثاني: تناولنا فيه الدور التعليمي لجامع الزيتونة، وذلك من خلال إبراز دور الطلبة الزيتونيين، وحركات الإصلاح والتجديد، واشتمل على مبحثين الأول تحدثنا فيه على النظام التعليمي السائد وبرامجه ومناهجه، وتصنيف المدرسين والتلاميذ به ومكتباته، المبحث الثاني خصصناه لرواد الإصلاح والتجديد وتناولنا خير الدين التونسي كنموذج واشتمل على عدة نقـاط أهمهـا الوضـع التعليمـي لتـونس قبـل الإصـلاحات، إصـلاحات خيـر الـدين الطلبـة الجزائريين الزيتونيين وعلاقة عبد الحميد ابن بأديس بجامع الزيتونة.

الفصل الثالث: فخصصناه للدور السياسي الذي قام به جامع الزيتونة الذي كان منشأ لمولد رجال السياسيين وكان الزيتونة الحلقة الأولى لأي تكتلات سياسية و حزبية

وقد قسمنا هذا الفصل إلى مبحثين،حمل المبحث الأول عدة نقاط أهمها عبد العزيز الثعالبي كنموذج للنضال السياسي في إطار جامع الزيتونة من حيث المولد والنشاط السياسي الذي قام به من خلال حركة الشباب التونسي بالإضافة إلى كتابه الشهي، وأخيرا موقف الاحتلال الفرنسي من نضاله السياسي،أما المبحث الثاني فاشتمل على النضال السياسي للطلبة الزيتونيين وكذا موقف فرنسا من الزيتونيين.

التعريف بأهم مصادر ومراجع البحث:

إن المصادر التي اعتمدنا عليها اعتمادا كبيرا ونخص بالذكر كتاب الدكتور محمد الطاهر بن عاشور"مقاصد الشريعة الإسلامية" الذي وجدنا بين ثناياه الكثير من الحقائق العلمية فقد أفادنا بالوقوف على أهم دور للجامع وهو الجانب العلمي كالإصلاحات التعليمية لخير الدين التونسي و أهم مدرسة بالجامع ونقصد الصادقية.

أما المصدر الثاني لعبد العزيز الثعالبي"تونس الشهيدة" فوجدنا بين صفحاته الدور السياسي للجامع من خلال نشاط عبد العزيز الثعالبي كنموذج والطلبة الزيتونيين.

ومن المراجع نذكر كتاب مختار العياشي "الزيتونة والزيتونيين في تونس المعاصر(1883-1958) " تحدث عن التعليم بالجامع وكيفية تصنيف التلاميذ والمدرسين.

أما المرجع الثاني لمحمد العزيز بن عاشور"جامع الزيتونة المعلم ورجاله" اعتمدنا عليه اعتماد كبير في تاريخ جامع الزيتونة.

صعوبات البحث:

لا يخلو أي بحث موضوعي من الصعوبات، فهي عديدة منها: نقص الوثائق والتي تعد أهم مصدر لكتابة بحث أكاديمي.

كما وجدنا صعوبة كذلك في مشكل الاختصار خاصة في تطور جامع الزيتونة عبر التاريخ بالإضافة إلى وجود مصادر تذكر جامع الزيتونة بدون سنة التأسيس ونذكر فقط أن حسان بن النعمان هو الفاتح أو عبيد الله ابن الحبحاب، ومنهم الروايتين معا.

هذا بالإضافة إلى ضيق الوقت، بالنسبة إلى بحث أكاديمي.

الفصل الأول

جامع الزيتونة النشأة والتاريخ

المبحث الأول: نشأة جامع الزيتونة

المبحث الثاني: جامع الزيتونة عبر التاريخ

المبحث الأول: نشأة جامع الزيتونة

يعد جامع الزيتونة ثمرة العمل الدؤوب والجاد واللاشعوري قام به كل الذين ساهموا بصورة أو بأخرى وإلى أبعد حد ممكن بإعطاء المكانة التي يتميز بها هذ الجامع اليوم، وهو ثاني الجوامع التي رفعت بإفريقية لإعلاء كلمة الله كما اعتبر منارة من المنارات العلمية في الأقطار العربية، إلا أن المؤرخين اختلفوا في تاريخ تأسيس هذا الجامع وكذا حول المؤسس الأول له، فمنهم من أنسبه إلى حسان ابن النعمان والبعض الآخر أرجعه إلى عبيد الله ابن الحجاب، وقد استخدم هذا الجامع كغيره من الجوامع للصلاة باعتباره بيت لعبادة الخالق، كما لم يقتصر دوره على جانب العبادة فقط فاستخدم في التعليم والحكم والشورى... فأصبح محل اهتمام من طرف المؤرخين من المولعين بالتاريخ كما تضاعفت وازدادت مكانته في إفريقية كلها، وأصبح محل توافق الطلبة من مختلف الأقطار العربية. وغير العربية، وأضيفت إليه جملة من الإصلاحات والترميمات عبر التاريخ لافتقاد هذه المكانة.

1- التعريف بجامع الزيتونة:

كان هناك منارات علمية في العلوم الشرعية التي كانت تؤهل العلماء وتحافظ على التراث الإسلامي ،كالجامع الأزهر في القاهرة وجامع الزيتونة[1] في تونس[2]،الذي يعد من أقدم المعاهد العربية الثلاث الموجودة في شمال إفريقيا وهو بيت لعبادة الله من خلال أداء فريضة الصلاة[3].

---

[1]- انظر الملحق رقم 01، ص 86.

[2]- جميل بيضون وآخرون، تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، 1991م، ص 68.

[3]- محمد بن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس، تح، الساحل جمادي والجيلالي بن حاج يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 286.

فكان وما زال بيت للصلاة وقد استعملت المساجد كمدارس ومحاكم ومراكز لاجتماع المؤمنين[1]، وكان جامع الزيتونة في العاصمة التونسية أشبه ما يكون بالجامع الأزهر في العاصمة المصرية إن لم نقل أنه نسخة طبق الأصل[2]، وجاء في المجلة الزيتونية أن جامع الزيتونة هو منبع الإسلام في هذا القطر والكلية الوحيدة التي تدرس علوم الشريعة والعلوم العربية، وهو أحد المعاقل التي تضيء على العالم أجمع، وهي المناخ الديني بالأصقاع الثلاث[3]، إذ يعد من أقدم الكليات العلمية في العالم وأكثرها انتاجا وهو مسجد أسس على التقوى من أول يوم، مسجد إذا بدا لك تبلج نوره اللامع ايقنت أن الجامع المفرد والمفرد الجامع، وفن العبادة ومعبد الرياضة بستان علوم، زهر دوحتها الفتح وثمارها الإفاضة، بحر بركات شحنت فلكها بضائع الأسرار، فما ضاق صدر مهموم ودخله إلا انفرج[4]، المسجد من المؤسسات التي لم تكن فقط مكان للعبادة بل كذلك للتعلم والتشاور وأخذ القرارات[5]، وقد صرح ابن باديس بأن منبع السعادة والهداية في هذا الشمال الإفريقي هو جامع الزيتونة عمره الله، وأنه المنبع الفياض الذي تصدر عنه كل حركة علمية أو إصلاحية[6].

---

[1]– حسين مؤنس، المساجد، د ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص 107.

[2]– سمير ابو حمدان، موسوعة عصر النهضة خير الدين التونسي، د ط، دار الكتاب ، تونس، 1993، ص 17.

[3]– محمد المختار بن محمود، التعليم بجامع الزيتونة وحل مشكلة التلاميذ، المجلة الزيتونية، مج2، ج1، ع 57، المطبعة التونسية، أكتوبر 1937، ص ص 3–10.

[4]– محمد المختار محمود، جامع الزيتونة من أقدم الكليات، المجلة الزيتونية، مج 2، ج2، ع 57، تونس، المطبعة التونسية، نوفمبر 1937، ص 50.

[5]– التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار في البلاد التونسية (1881–1939)، مج 2، د ط، كلية الآداب بمنوبة، تونس 1922، ص 252.

[6]– علي النيفر، الحركة العلمية والأدبية، المجلة الزيتونية، مج1، ج5، ع 57، المطبعة التونسية، تونس، جانفي 1937م، ص 262.

2- تأسيس جامع الزيتونة:

يعتبر جامع الزيتونة من أقدم الجوامع التي بنيت في المغرب العربي وشمال إفريقيا، وباعتبار أن أول عمل يقوم به الفاتحون أثناء فتحهم لإقليم جديد هو بناء مسجد ليكون أساسا لحكمهم وملكهم ودينهم[1]، ولقد تأسس جامع الزيتونة وكان مقره بالعاصمة تونس وتم الإشارة في مجلة الأصالة أن جامع الزيتونة أسس منذ فتحت تونس وأصبح ركيزة من ركائز الإسلام[2].

وهنا اختلف المؤرخون حول المؤسس الأول لجامع الزيتونة، وهناك من يرجعه إلى حسان ابن النعمان الغساني* باعتباره الفاتح الأول لافريقية** وذلك سنة 79هـ-668م، وباعتباره كذلك زعيم تلك الحركة المباركة لنشر الدعوة الإسلامية[3].

---

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج 5، د ط، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1968، ص 404.

[2]- الشاذلي النيفر، جوانب من حياة ونضال الفقيد محمد الصادق بسيس، مجلة الأصالة، ع70-71، جوان جويلية1977، الجزائر، ص 117.

* هو حسان ابن النعمان الغساني توفي بعد (80هـ/699م 700م) قائد أموي لعب دورا حاسما في دعم غزو إفريقية باحتلال قرطاج والتغلب في النهاية على الكاهنة وبعد أن استولى على قرطاج واجتاحها وركب سكانها البحر إلى صقلية، طارد الروم وحلفاءهم البربر في بنزرت وبقهرهم قذف بهم إلى باجة وتسجل حملات حسان الدعم النهائي للغزو والعربي ويعود إليه الفضل في تأسي دار الصناعة بتونس وإعادة بناء الجامع الكبير بالقيروان بمواد أمتن وقد قال أيضا أن يجهز إفريقية بإدارة ناجحة. أنظر محمد طالبي، دائرة المعارف التونسية، د ط، بيت الحكمة، تونس،1994.ص 51.

** إفريقية: هي الجزء الشرقي من المغرب العربي الإسلامي لذلك أطلق عليها عدد من المؤرخين المعاصرين اسم بلاد البربر الشرقية، ولفظة إفريقية مقتبسة من الكلمة اللاتينية أفريكا وموطن الأفارقة هي التسمية التي كانت مقصورة في أول الأمر على السكان الأصليين الموجودين على أراضي قرطاج. أنظر طالبي، مرجع سابق، ص 80.

[3]- بن الخوجة، مصدر سابق، ص 186.

حسان ابن النعمان عاد إلى القيروان 84هـ/703م ومنه سار فنزل بتونس وقاومهم فانتصر عليهم فدخلها حسان فأخر بها فأحرقها وبنى بها مسجدا[1].

والبعض الآخر من المؤرخين أرجعوا بناءه إلى عبيد الله ابن الحبحاب* وعلى رأسهم ابن خلدون في كتابه العبر في قوله:« ويعتقد أن عبيد الله ابن الحبحاب هو الذي أخط هذا الجامع لما كان واليا على إفريقية»[2].

ويؤيد هذه الفكرة سعد زغلول في ذكره أن ابن الحبحاب قدم إلى إفريقية في شهر ربيع الثاني من سنة 116هـ ماي 735م، إذ اعتنى بعمران مدينة تونس وبذلك ينسب إليه بناء مسجدها الجامع الذي عرف فيما بعد بمسجد الزيتونة[3].

وقال ابن أثير في كتابه الكامل أن عبيد الله بن الحبحاب دخل افريقية في هذه السنة 735م[4].

---

[1]– محمد بن عميرة، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، د ط، الجزائر، 2008، ص 131.

* كان واليا على مصر استخلف على مصر ابنه أبا القاسم، سار إلى تونس سنة أربعة عشر، وبنى جامع تونس واتخذ له دار الصناعة لإنشاء المراكب البحرية وبعث إلى طنجة ابنه اسماعيل وعمر، وبعث إلى الاندلس عقبة ابن حجاج القيسي وحبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع غازيا على المغرب، ثم غزو صقلية، وبعث بن الحبحاب خالد بن حبيب الفهري ولقيهم البربر بناحية طنجة فاقتتلا لكنهم انهزموا فاستغاضت إفريقية على ابن الحبحاب، ولما انتهى الخبر إلى هشام بن عبد الملك بهزيمة العساكر بالمغرب فخلع بن الحبحاب وولي على إفريقية سنة ثلاث وعشرون ومئة كلثوم بن عياض. انظر: عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ بن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج4،د ط، دار الفكر، لبنان، 2000، ص 250.

[2]– نفسه، ص 404.

[3]– عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عهد الاستقلال، ج1،د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2003، ص 55.

[4]– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج 05، د ط، دار الكتاب العربي، بيروت، 1965، ص 185.

وأرجعه شوقي الجمل بقوله أن عبيد الله بن الحبحاب قدم إلى إفريقية عام 116هـ-735م ويذكر له أنه توجه إلى بلاد السوس والصحراء الكبرى وأرض السودان وإنشاءه جامع الزيتونة بتونس وتجديده لدار الصناعة التي كانت تمد الأسطول الإسلامي بالسفن الحربية[1].

وذكر ابن دينار في كتابه المؤنس أن حسان ابن النعمان فتح تونس واتخذ بها مسجدا وهو الجامع الأعظم وسمي بجامع الزيتونة، ثم عاد وقال: قال ابن الشماع:" وجامع الزيتونة مليح الصنعة حسن الموضع مطل على البحر بناه عبيد الله ابن الحبحاب"[2].

ثم وازن بين القولين وقال حسان ابن النعمان هو الذي فتح تونس وبنى بها مسجدا وعبيد الله ابن الحبحاب زاد في ضخامته[3].

وأيدابن دينار في الفكرة محمد ابن الخوجة في كتابه صفحات من تاريخ تونس حين ذكر أن حسان ابن النعمان هو الذي بناه ،والأمير عبيد الله بن الحبحاب والي إفريقية قام بتوسعة الجامع وإحكام وضعه[4].

---

[1]- شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في الحديث (ليبيا تونس الجزائر المغرب)، ط1، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1977، ص 11.

[2]- ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية بحضارتها المحمية، تونس، 1682م، ص 09.

[3]- نفسه، ص 10.

[4]- بن الخوجة، مصدر سابق، ص 284.

3- أصل التسمية:

وفد نسب هذا المعهد الجليل للشجرة المباركة فقد حقق المؤرخون حسب قول بن الخوجة أن موقع الجامع كانت به زيتونة حوالي موقع الصومعة كان يتعبد بها راهب نصراني عند نزول المسلمين الأولين بتونس وتلك الصومعة كان موقعها حيث صومعة الجامع لهذا الزمان[1].

وقال ابن الشباط وجدوا زيتونة منفردة في موضع المسجد فقالوا هذه تونس وسمي الجامع بجامع الزيتونة[2].

وقد عرف الجامع باسم الزيتونة استنادا إلى الآية الخامسة والثلاثون من سور ة النور لقول الله عز وجل جلاله بعد بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [3].

4- مكانة جامع الزيتونة:

يعتبر جامع الزيتونة أعز وأفخر مؤسسة إسلامية بتونس انتشرت في المشرق والمغرب[4]، ولا شك أن هذا الجامع يعد نبراسا لتونس والدول المجاورة، وظلت تونس تعتبر بكونها قصبة من قصبات العروبة والإسلام لأنها تحتضن هذا العريق وهو من أقدم

[1]- بن الخوجة، مصدر سابق، ص 283.

[2]- ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 10.

[3]- سورة النور الآية 35.

[4]- بن الخوجة، مصدر سابق، ص284.

الجامعات الاسلامية في العالم العر بي وهي الجامعة التي أخرجت عددا من الرجال يعتزون بعروبتهم وإسلامهم[1].

وتعتبر الزيتونة تراث تقليدي ومركز ثقافي تعليمي للمغرب العربي كله يؤمها الطلاب من مختلف الأقطار ويعد حصن حصين للثقافة العربية الإسلامية ومعقلا للحركة الوطنية، فأصبح يمثل الوطنية الصحيحة[2].

كما يعد تعبيرا عن الأخوة بين الشمال الافريقي، فالزيتونة ليست لتونس وحدها بل هي لكل من تلقى العلم بها كما أراد الإسلام فإن المساجد لله في العبادة وكذلك في العلم[3].

ومن الوقائع الدالة على ما يحظى به جامع الزيتونة من الاجلال والتعظيم والحرمة ما ذكره الزركشي من أنه في رمضان سنة 705هـ-1306م دخل هداج ابن عبيدة الكعبي أحد زعماء القبائل إلى جامع الزيتونة بخفيه فزجره بعض الناس عن ذلك فقال دخلت والله بهما على السلطان فاستعظم العامة ذلك منه وقاموا عليه وقتلوه بالجامع ثم جروه بطرق تونس[4].

[1]- جلال يحي، تاريخ المغرب العربي الكبير (الفترة المعاصرة)، ج 4، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص ص226-227.

[2]- زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، د ط، دار النهضة العربية، بيروت ، ص ص 473-474.

[3]- النيفر، مرجع سابق، ص 120.

[4]- سعد زغلول، مرجع سابق، ص 551.

ويقول أمير شعراء الخضراء "الزيتونة" السيد الشاذلي خزندار:

ألا لبيك يا ثاني القرون حديثك والحديث لذو شجون
تمثل بيننا الماضي فكدنا تشاهد ما تقصه بالعيون
هنا الحبحاب عبد الله خطت يداه البيت تخطيط الحصون
تذكرنا المعاهد من بناها فتدعونا لمعرفة اليقين
هنا الزيتونة الهادي سناها بنور الله لا نور الغصون
فلا شرقية بلغت علاها ولا غربية في أي حين
لها في نسبة البيت افتخار تابد بالشروح أو بالمتون
فبات المعهد العلمي بحرا يفيض عليك بالدر الثمين
إذا استمطرت راحا من ذرية جرت كالسيل من ماء معين
تسلسلت الفحول به هداة تمشت بين سهله والحزون
تصفح دفتر الملويين تصفح عن الكشاف للسر مصون
فلولا الدهر حركنا لأودت بنا الأحلام في ذاك السكون[1]

[1]– محمد بن الخوجة، الأدب، المجلة الزيتونية، المطبعة التونسية، مج 1، ج 5، ع 57، جانفي 1937، ص 341.

المبحث الثاني: جامع الزيتونة عبر التاريخ

1- جامع الزيتونة في عهد الولاة:

لقد أشرنا سابق أنه اختلف نسب تأسيس جامع الزيتونة من حسان بن النعمان وعبيد الله بن الحبحاب وحسب رأي المؤرخ فإن الذين سينسبون تأسيسه إلى حسان هو الأرجح لأن فتح تونس تم 79هـ وابن الحبحاب لم يدخلها إلا في 116هـ فلا يعقل كما قال بن أبي دينار ومحمد ابن خوجة أن جماعة المسلمين لم يكن لديهم مسجد جامع للصلوات فيما بين قدوم حسان وبن الحبحاب.

وكان دور هذا الأخير فتمثل في عمارة الجامع والزيادة في ضخامته وطاقته الدفاعية واستعان بخبرة الفنيين الأقباط الذين أرسلهم والي مصر بإذن من الملك عبد الملك بن مروان كما افترض أن حسان ربما اقتصر على اتخاذ معلم مسيحي وجعله مسجدا بعد تغييرات طفيفة ابن الحبحاب قام بإعادة بناءه في نفس الموقع[1].

إن حسان ابن النعمان رأى أن يقيم اتجاه قرطاجنة مدينة عربية فبنى تونس وشيد فيها مسجدا جامعا واتسع عمرانها في عهد عبيد الله ابن الحبحاب فقد نمت فيها مسجد جامع الزيتونة.

وكان تخطيط حسان غريب عن تخطيط المساجد الإسلامية، فبيت الصلاة يتألف من قسمين الأمامي بها 21 بلاطات وبلاطة وسطى وبلاطتان متطرفتان وأعمدة وشيد بالحجر المصقول[2]. ويختتم المالكي فترة ولايته بقوله:« استقامت إفريقية كلها وأمن أهلها وقطع الله

[1]- محمد العزيز ابنعاشور، جامع الزيتونة المعلم ور جاله، د ط، دار سراس، تونس، 1991، ص 10.

[2]- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008 ، ص ص163-763-764.

مادة أهل الكفر منها وصارت دار الإسلام إلى وقتنا هذا وإلى آخر الدهر.» واهتم من بعده الولاة بتجديد مبادئه وبنوا فيه المساجد أهمها جامع الزيتونة الذي وضع أساسه ابن النعمان وأتمه ابن الحبحاب[1].

بنى عبيد الله ابن الحبحاب الجامع ودار الصناعة بمدينة تونس وفتحها حسان ابن النعمان بن عدي بن بكر بن مغيث ابن عمر من بغياء بن عامر الأذري وبنى فيها مسجدا، وجامع مدينة تونس رفيع البناء مطل على البحر، ينظر فيه الجالس إلى جميع جوانبه ،وينظر إلى الجامع من جهة الشرق على اثنتين عشرة حماما وبنادق كثيرة رفيعة وعضادات أبواب ،ودوره كلها رخام بديع لوحانر خاميان وثالث معترض عليها مكان العتبة[2].

2- جامع الزيتونة في العهد الأغلبي (184-296هـ/ 800-909)

يرجع أصل الأغالبة إلى الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي*، وقد اعتنى الأغالبة بجامع الزيتونة إذ أمر إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب** أمر ببناء المسجد

---

[1]- موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي، د ط، دار هومة، الجزائر، 2005، ص 65.

[2]- ابن عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والمماليك ،د ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص ص 37 -40.

* من الجند العرب المقيمين في خرسان، ساهم في الثورة العباسية مع أبي مسلم الخرساني، انتقل بعد قيام الدولة العباسية إلى العراق ، وقد وجهه سنة 144هـ/761م إلى شمال إفريقيا لتثبيت السلطة العباسية هناك بعد قيام حركات عديدة مناوئة من قبل الخوارج الإباضية والصفرية، انظر: عبد الواحد ذنون طه، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، ط1، المدار الإسلامي، لبنان، 2004، ص 350.

** بعد نهاية ولاية محمد بن مقاتل داخلوا إبراهيم بن الأغلب في أن يطلب من الرشيد الولاية فكتب إبراهيم ذلك على ان يترك المائة ألف دينار التي كانت مصر تمنحها لإفريقية، فكتب لإبراهيم الولاية وبنى مدينة العباسية قرب القيروان، دخل في صراع مع حمديس فهزمه، ثم دخل طرابلس بعسكره وتوفي سنة 238هـ/863م لما شرع في بناء جامع الز يتونة، انظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ص 250.

الجامع وشرع في بناءه 248هـ-863م وتوفي دون إكماله فأتمه اخوه زيادة الله الثاني فتوفي في 250هـ، كما قاموا بأعمال داخل جدران الجامع كزيادة في بلاطات في بيت الصلاة وإقامة قبة أمام المحراب وشرع في إصلاح جامع الزيتونة كذلك في 676هـ وتحسينه وزخرفته[1]. وبذلك أشهر الأمراء الأغالبة بالإسهام في عمران إفريقية ،وبذلك نجد جامع الزيتونة يتميز بوجود بيت صلاة على شكل مربع به 15 مسكبة و7 بلاطات مساحتها 2134م و6 أبواب واعتمد في بناءه على الحجارة مع استعمال الطوب في بعض الأماكن أما سقوف الجامع على شكل سطح من الخارج ومن الداخل سقيفة خشبية ووقع تجديده مرارا وجهة المحراب تتميز عن بقية البيت بوجود قبة بديعة مقتبسة من جامع القيروان.

الأقواس أو الأعقاد في بيت الصلاة مبنية بالحجارة المرصقة على شكل العقد المهموز وتباعد الأقواس بفضل أخشاب التثبيت وهناك الأعمدة والتيجان التي ترتكز على سقوف بيت الصلاة على أعمدة من المرمر وكانت زخرفة المحراب من صنع غربي[2].وبذلك نجد الأغالبة بالفن المعماري والتي امتاز بهذا الطابع الخاص[3]، ومن أهم أثارهم التي خلفوها في الشمال الإفريقي ما أضافوه إلى جامع الزيتونة الذي أصبح منارة علمية في شمال إفريقيا[4].

3- جامع الزيتونة في العهد الفاطمي: (296-362/ 909-973م)

تعتبر الفاطمية إحدى الفرق الشيعية التي اشتهرت بالإسماعيلية نسبة إلى اسماعيل بن جعفر الصادق، وشهد هذا العصر تحول جامع الزيتونة إلى منتدى علمي كبير، كما تولى

[1]- عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص ص350-351.

[2]- بن عاشور، مرجع سابق، ص ص 13-21.

[3]- الحبيب ثامر، هذه تونس، د ط، مكتب المغرب العربي، تونس،1999 ، ص 13.

[4]- عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 13.

مهمة الجامعة المعروفة في وقتنا الحاضر[1] يتمثل دور أمر اء الدولة الصنهاجية الذين خلفهم المعز الفاطمي في إنشاء القبة البديعة والتي بنيت على يد المنصورين أبي الفتوح، وهندستها تأثرت بالعهد الأغلبي وتركبت من ثلاثة عناصر قاعدة مربعة ومبنية بالحجارة المزخرفة وحرصوا على جعله معلم حضاري راقي بإضفاء طابع خاص بعصرهم ،تمثل في تعلية الغشاء النصف كروي الذي على القبة، وزخرفتها رائعة اللبنات بالآجر (الأحمر) والحجارة (أبيض) واستعمال قطع من الخزف متأثرين بالفن الأموي القرطبي، أما من الداخل فأضيفت أشكال زهرية[2].

4- جامع الزيتونة في العهد الحفصي: (07-10هـ/ 13-16م)

ينتسب الحفصيين إلى أبي حفص عمر بن يحيي الهنتاتي* ارتقت في مدينة وانفرد جامع الزيتونة ودخل صنفين من مواضع العلم به هما المدارس والزو ايا وعملوا على تحسين وازدياد ضخامة مساحته بزيادة صحن لإقامة صلاة الجنازة وبناء الصومعة التي كانت أقرب إلى البساطة، كما أمر الواثق بن المستنصر 676هـ-1277م بإعادة السقوف وتدعيمها بالعوارض، كما أمر بترميم نقيشة قبة المحراب وحروفها كانت من الحجارة، وانشرح ثلاث قاعات للمطالعة على الكتب والاطلاع عليها وهي مكتبة أبي فا س عبد العزيز ومكتبة أبي عمر وعثمان، كما أدخلوا عناصر هندسية وزخرفية وبخاصة النافذة ذات القوسين بالحجارة

[1]- عاطف عيد وآخرون، موسوعة قصة وتاريخ الحضارات العربية والجزائر تاريخية جغرافية حضارية وادبية تونس الجزائر، د ط، دار البحار، ص43.

[2]- ابن عاشور، مرجع سابق، ص ص 24 -27.

* وهو من خاصة ابن تومرت، ويرجع نسبه إلى قبيلة هنتاتة (وهي قبيلة بربرية عظيمة تلتحق بالمصامدة التي هي من اكبر قبائل المغرب الاقصى)، كانت له مكانة لدى محمد بن تومرت زعيم الموحدين، تولى عدة إمارات في عهده حتى وفاته سنة 571هـ/1175م، انظر: عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 26.

الكلسية، ومن أهم ما قاموا به أجهزة وبنايات لتوفير ماء الشرب والطهارة[1]. ويعتبر أبو زكريا يحيي مؤسس أركان الدولة الحفصية بتونس وله بها عدة أعمال عمرانية، إذ بنى فيها جامع القصبة وصومعته الجميلة، ونقش اسمه عليها وغير ذلك من المساجد كالزيتونة، فاهتم بالتعليم وفتح عدة مدارس، وأنشأ في قصره دار للكتب جمع فيها 36 ألف مجلد من أنفس المؤلفات[2]، وبذلك تحول جامع الزيتونة إلى جامعة حقيقية في القرن 13م زمن الحفصيين عندما استقدم الأساتذة من الأندلس وصقلية لتدريس الفقه واللغة والأدب[3]، واشتهر الخلفاء الحفصيين عموما برعاية الأدباء وتأسيس المؤسسات العلمية والدينية من جوامع ومدارس ومكتبات وزوايا وجددوا الحنايا الرومانية الجالبة للمياه من زغوان إلى بساتين السلطان وجامع الزيتونة وبدأ بتخصيص أسواق للمهن والحرف والصناعات حول جامع الزيتونة[4].

5- جامع الزيتونة من الفتح العثماني إلى ظهور الدولة المرادية: (981-1041هـ/ 1574-1631م)

أدخل الفتح العثماني المذهب الحنفي للبلاد التونسية بعدما انقرض، وظهرت نزعة معمارية مقتبسة من الشرق وبالتحديد الفن العثماني ،والذين اعتنوا بتهيئة الجوامع المالكية وفي طليعتها جامع الزيتونة، إذ قامت على إصلاحات وترميمات بعد جرمة الجامع من طرف الجيوش الإسبانية وجعلوا به شباك مصنوع من الخشب المخروط وحرصوا على إبقاءه رمز لإشعاع المذهب المالكي بالقطر التونسي[5].

---

[1]- بن عاشور، مرجع سابق، ص ص 29-32.

[2]- عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 27.

[3]- قدورة، مرجع سابق، ص 473.

[4]- أحمد الطويلي، في الحضارة العربية التونسية، د ط، دار المعارف للطباعة، تونس، 1988، ص ص 10-17.

[5]- بن عاشور، مرجع سابق، ص ص 33-34.

ولقد اتخذ مراكز للثقافة في المغرب والقاهرة، وفي عهد الباي أحمد* نشط جامع الزيتونة في هذه الفترة وقام بدوره الثقافي إلى جانب المدارس والجوامع الأخرى والمكتبات العامة[1]، إذ انتشر التعليم وهذا لاهتمام العثمانيون بالتعليم في البلاد العربية واعتمدت حلقات المساجد الكبرى التي تدرس علوم الدين واللغة وأشهرها في تونس بجامع الزيتونة، حفظت هذه المساجد اللغة العربية من الانحطاط إلى مستوى أدنى[2].

6- جامع الزيتونة في العهد المرادي:

تميز المراديون بإنشاء الجوامع الحنفية، إذ بنى حمودة باشا بالقرب من الزيتونة جامعا له وقام محمد حمودة بأشغال الترميم وتحصين صومعة جامع الزيتونة 1063-1652م، كما زيد في ارتفاعها حتى بلغ 30 متر بها أروقة و5 أقواس تقي المؤذنين من الحر والشتاء، وبرز أعيان غير رجال الدولة في عمران جامع الزيتونة كآل البكري ومن انجازاتهم تجديد وتسقيف الرواق "صحن الجنائز" بني بالحجارة المرصفة بها أقواس وأعمدة وتيجان ذات نمط

* انتسب إلى جماعة الشباب أملا في إنشاء دولة حديثة وجيش عسكري، وطمح ليضاهي دولة أوروبا، بعث جيشه إلى تركيا لإعانة الدولة العثمانية في حرب القرم، قام بتنظيم التعليم بجامع الزيتونة وعمر فيه الكثير من الكتب، ودعا العديد من الأساتذة الأجانب للحضور إلى تونس للالتقاء بأساتذة هذا الجامع، وكان لهذا أثره في الاحتكاك بين العقلية الغربية والإسلامية، زاد في رجال الدولة، وأسس المكتبة الأحمدية عام 1840م، تم استدعاءه رفقة محمد باي إلى الباردو وقتلا دون أن يستنطقا، انظر: محمد عبد الله بن عودة ياغي وأحمد عبد السلام، مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية، د ط، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986، ص ص 10-18.

[1]- اسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في الحديث والمعاصر، د ط، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997، ص 140.

[2]- محمد عبد الله بن عودة، ياسين الخطيب، تاريخ المغرب الحديث، د ط، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1989، ص 126-127.

حفصي، كما استعملت الحجارة لتبليط أرضية الرواق، واعتنى بتزويق بيت الصلاة وكساء حائط المحراب بالجبس[1].

7- جامع الزيتونة في العهد الحسيني: (1117-1377هـ/ 1705-1957م)

اهتم حسين باشا* مؤسس الدولة الحسينية بالشؤون الدين والعلم وكانت سياستهم العمرانية ترمي إلى إنشاء مدارس وإقامة للطلبة وأوقفوا لفائدة المشايخ بجامع الزيتونة كالمدرسة السليمانية والمدرسة الحسينية ومدرسة الشيخ ابن ملوكه[2]، بحيث شهدت فترة حكم محمود باي* باختلاف العمران، فقد تعددت فيها المدارس والجوامع وغير ذلك من الأوجه العمرانية وتم تأسيس المكتبة الأحمدية واهتم من بعده أحمد باي بتنظيم التعليم بجامع الزيتونة[3]، كما قام بجلب الماء إلى الجامع وأصبحت هناك ساقية تعرف بساقية جامع الزيتونة التي يتسرب منها الماء في أنابيب ويستقي منه الغرباء ويعد من أحسن الجوامع

---

[1]- بن عاشور، مرجع سابق، ص ص 34-38.

* انتقلت له الولاية 1117هـ/1705م فأسس أسرة حاكمة جديدة هي الحسينية، استمرت في الحكم في تونس إلى الاستقلال وإعلان الجمهورية 1957، يرجع اصله إلى جزيرة كريت، وفد إلى تونس أيام الدولة المرادية وانخرط في الجنود، تدرج في عدة وظائف إلى ان انتخب واليا، عمل على ترميم سور مدينة تونس وتحصين قلاعها، كما عمل على تحقيق الأمن والعدل، ازدهرت في عهده الزراعة والصناعة والتجارة، أسس المدرسة الحسينية. انظر، عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 111.

[2]- بن عاشور، مرجع سابق، ص ص 39-40.

* حكم من 1824/1814، اهتم بالعمران فتعددت في عهده الزوايا والجوامع والمدارس، والمستشفيات، قضى على مشكلات الحدود مع الجزائر، وعقد صلح نهائي معها بتدخل الدولة العثمانية، اشتهر بالتقوى والبر، لكن نجح حساده في الإيقاع به، انظر عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 111.

[3]- نفسه، ص 111.

وأتقنها وأكثرها إشراقا، ووسطه فضاء قد نصبت فيه أعمدة من خشب على قدر ارتفاع الجدر وشدت إليها حبال متينة في حلق من حديد مثبتة فيها وفي السقوف شدا محكما[1].

وأهم ما أحدث للجامع هو عملية تعويض الصومعة القديمة الحفصية وتم المرادية بصومعة بديعة ارتفاعها 43 متر.

8- جامع الزيتونة في عهد الجمهورية:

عملت الدولة الجمهورية على تحسين وتدعيم الجامع الأعظم وذلك بالمراقبة العلمية، وترميمات كتعويض أعمدة تيجان متداعية وعوضت بقطع رومانية وأخرى تمثلت في تجديد السقوف وا إبراز الزخرفة، وهدمت قاعدة المكتبة العبدلية قصد ارجاع الجناح لوضعه الأصلي، وتعويض الثريات والقنادل بأخرى فخمة، وكان أثاث جامع الزيتونة يتكون من منبر شبيه بمنبر جامع القيروان ورمم عبر العهود، وهناك الختمة تتمثل في أثاث خشبي مربع لحفظ المصاحف، ونجد التوابيت وهي صناديق خشبية لحفظ أسفار الختمة التي كتبها ولي العهد محمد المسعود الحفصي، وخزائن الكتب وعددها عشرون يرجع تاريخها أحمد باشا باي الحسيني، والمعلقة وهو الذي أمر بترتيب التعليم بالزيتونة سنة 1842، وأخيرا الحصر وهو فرش بيت الصلاة[2].

ويعد جامع الزيتونة الذي تم بناؤه وأحفل بألوان الزخارف والنقوش التي ظلت باقية في ذلك العهد حتى الآن ولم يتغير من بناءه إلا سقوفه وينجلي فيه الذوق العربي في العمارة البزنطية أو الروماني، مما يدل أن البناء العربي كان موروثا في الإسلام عن عرب

[1]- محمد العيظري البلشي، الرحلة المغربية سنة 220هـ،تق ،سعد بوفلاقة، د ط، منشورات للبحوث والدراسات، المغرب، 2007، ص ص 69-70.

[2]- بن عاشور، مرجع سابق، ص ص 41-42.

الجاهلية، وليس معقول أن تتمكن الطبيعة العربية في يوم وليلة من استنباط فن معماري كامل المميزات والصفات[1].

وخلاصة القول أن جامع الزيتونة هو أقدم الكليات الإسلامية الثلاث ومنه انبعث الضوء نحو المغرب الاسلامي، وقد اختلف مؤرخي التاريخ في نسب الجامع وله الفضل عام على العالم الإسلامي في حياته الفكرية، ثم له علينا الفضل بصفة انتفاعنا فيما كتب لنا من علوم الدين ووسائلها، لذلك له منزلته ويسرنا ويشرفنا كل ما يدركه من شرف، فتظافرت عليه كتب المؤرخين فابتدأ بناء الجامع الأعظم حسان بن النعمان الداخل لافريقية سنة 79هـ، ثم عرف عدة ترميمات عبر تاريخه الطويل، كما أضيفت له زيادات بحيث أولى الملوك الوزراء العناية بالجامع شكليا، بالإضافة إلى إصلاحات علمية وتربوية وحمل السمة العربية والشرعية للوطن العربي.

[1]– صالح خرفي، عبد العزيز الثعالبي من آثاره في المشرق والمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص 149.

الفصل الثاني

الدور التعليمي لجامع الزيتونة

المبحث الأول: التعليم في الجامع

المبحث الثاني: رواد الإصلاح والتجديد في تونس والجزائر

المبحث الأول: التعليم في الجامع

يعتبر جامع الزيتونة أرفع المؤسسات الإسلامية وهو أحد اقدم المساجد وأشهرها غير أن شهرته لم يكن يستمدها من طابعه الديني فقط بل من دوره العلمي والتعليمي والثقافي الذي اشتهر به، فقد كان مكانا للتعليم تلقى فيه الدروس على اختلاف مواضيعها وأنواعها.

1- نظام التعليم في الجامع:

التعليم في الزيتونة أساسه القرآن والسنة[1]، والمقصد منه هو تعليم أبناء المسلمين مالهم وما عليهم وهذا التعليم ينقسم إلى قسمين: علوم الشريعة، والعلوم الوضعية.

علوم الشريعة: تفسير القرآن، القراءات، الحديث، التوحيد، الفقه والفرائض، الكلام، التصوف.

العلوم الوضعية: النحو، اللغة، المعاني، البيان، الأدب، الشعر، أداب الحديث، المنطق، التاريخ، الجغرافيا، الحساب، المساحة، الهيأة[2].

أ- البرامج والمناهج الدراسية:

وقد كانت هذه العلوم تصنف وفق برامج ومناهج حسب المرحلة التعليمية، اذ يوضح البرنامج التالي المواد والكتب التي كان يدرسها الطالب الزيتوني في كل مرحلة تعليمية:

---

[1]- أبو حمدان، مرجع سابق، ص 17.

[2]- بن الخوجة، مصدر سابق، ص 292.

البرنامج التعليمي في المرحلة الأولى[1]:

المواد	الكتب والعناوين
القراءة والتجويد	شرح القاضي على الجزرية لشمس الدين الجزري، شرح الباجوري على الجوهرة، الدرر والأوامع لابن بري شيرح المارغي.
التوحيد	الصغرى وشرح الباجوري على الجو هرة
أصول الفقه	الحطاب على الورقات
الفقه	متن القدوري، نظم الشيخ حسن الصغير شبرحه، كفاية الغلام، شرح أبي الحسن على الرسالة، سيدي عبد الباقي علي العزية، مبارة الصغير علي بن عاشر.
	عنوان التجابة في علم الكتابة.
الرسم	شرح الدمنهوري على السمرقندية، شرح الملوي عليها.
المنطق	الشرح الجربي على اياغوجي، الشرح البيرمي عليها، شرح الملوي على السلم، شرح الشيخ على السلم.
البرنامج التعليمي في المرحلة المتوسطة	
المواد	العناوين
الحديث	شرح الشبرخيتي على الأربعين النووية، شرح القاني عليها، الشمائل بشرح المناوي أو بشرح الباجوري.
السير	الهمزية بشرح الجمل
التوحيد	الوسطى للشيخ السنوسي وسيدي عبد السلام على الجوهرة، شرح ابن أبي الشريف.
	الشاطبية بشرح ابن القاصح
القراءات	الفقيه العراقي بشرح القاضي
المصطلح	المرآة على المرقاة، شرح المنازل لابن مالك ابن فرشتة، الشرح البيرمي على مختصر
أصول الفقه	المنار، شرح التنقيح للقرافي، ألفية ابن عاصم في الأصول.
الفقه	الدر المختار برد المحتار، شرح الوقاية تصدر الشريعة المنظومة.

[1]– محمد بوطيبي، دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900–1930، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف بوعزة بوضرساية، في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2008–2007، ص ص 33–34.

الفرائض	الحبية، المختصر بشرح الدردير، التودى على العاصمية، ميارة على لامية الزقاق. السيد علي السراجية، الشنشوري على الرحبية، شرح الدرية للشيخ ابن ملوكة أو يشرح مؤلفها.
التصوف وآداب الشريعة	الحكم يشرح ابن عباد، الطريقة المحمدية، النخبة العليا.
الميقات	منظومة ابن غانم في العمل بالربع اليب، رسالة بسط الماردیني.
المعاني والبيان	التلخيص بشرح مختصر السعيد، العصام على السمرقندية، شرح السمرقندية على رسالة الوضع.
اللغة والأدب	مقامات الحريري، العمدة لابن رشيق، المعلقات السبع، شرح ابن هشام على قصيدة بانت سعاد، البردة بشرح ابن عاشور أو الجامي.
التاريخ والجغرافيا	نبذة من تاريخ الإسلام وتاريخ تونس، رقم الحلل في نظام الدول.
الرسم والخط العروض	المطالع النصرية، ابن عاشور على نظم الحراز، شرح المارغيتي على مورد الظمآن في رسم المصحف– الكافي بشرح الدمنهوري.
المنطق	شرح الخبيصي على التهذيب، شرح مختصر الشيخ السنوسي.
آداب البحث	من لاحنفي على العضدية، مسعود الرومي على السمرقندية، القوانين لسلجقي زاده.
الحساب	النخبة الحسابية، القلصادي، الرابع من الدروس، الحسابية لشفيق. دنقور على المراح، الكافية بالشرح
الصرف النحو	الأشموني على الألفية، ابن عقيل عليها، التوضيح لابن هشام بشرح التصريح[1].

[1]– بوطيبي، مرجع سابق، ص 34.

ب/ تصنيف المدرسين والتلاميذ:

1- المدرسين: يتمثل النص الأول الذي ضبط النظام الأساسي لمدرسي الجامع المعمور الصادر في 26 نوفمبر 1842 وقد عين ذلك الأمر 30 مدرسا نصفهم من الحنفية والنصف الآخر من المالكية[1]، حسب تأهيلهم ومدى مناسبتهم لدرجات التعليم ومستويات الدارسين[2].

وأحدث الإصلاح الذي وضعه خير الدين باشا* سنة 1875 ورفع عدد رجال التعليم إلى 44 مدرسا.

مدرسون من الطبقة الأولى: عددهم ثلاثون 15 من الحنفية و15 من المالكية، ويقوم المشائخ المدرسون من الطبقة الأولى بإقراء درسين في أي فن وفي أي وقت تسير لهم من النهار ورفع مرتباتهم إلى 600 فرنكا في الشهر ثم زيد فيها تدريجيا[3].

مدرسون من الطبقة الثانية: وحصر عددهم في اثني عشر مدرسا مناصفة بين الحنفية والمالكية.

---

[1]- مختار العياشي، الزيتونة والزيتونيين في تاريخ تونس المعاصر(1883-1938)، د ط، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003، ص 279.

[2]- محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تح، محمد الطاهر الميساوي، ط2، دار النفائس، الأردن، 2001، ص 31.

* خير الدين باشا: (1810-1889) شركسي الأصل بيع عبدا في سوق الرقيق بالأستانة اشتراه تحسين بيك وباعه إلى أحد وكلاء باي تونس، تعلم في الزيتونة وزار عدة دول أوروبية، شغل منصب الوزارة في تونس (1873-1877) وكانت له عدة إصلاحات في تونس وسبب فشلها رحل إلى الأستانة، وارتقى مناصب عليا في الباب العالي، انظر: أمين احمد، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص ص 158-183.

[3]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956، الروابط الحضارية بين القطرين وأثر الجامع الأعظم في الوعي الجزائري، ج1، د ط، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 792.

المدرسون المتطوعون: كان الطلبة المتحصلون على التطويع* بإمكانهم ان يجمعوا في آن واحد بين تلقي الدروس في المرتبة العليا والاشتغال بالتدريس للمرتبة الأولى من التعليم الزيتوني، ويشترط في ذلك موافقة المشائخ[1].

2- التلاميذ: كان عدد الطلاب في جامع الزيتونة حوالي 800 طالب قبيل انتصاب الحماية[2]، وبلغ عددهم سنة 1899 901 طالب ولم يتجاوز الألف إلى في حدود 1910م، وفي نهاية 1938 بلغ عددهم 3200 طالب[3]، خاضعون لنظام شديد الوطأة وأغلبهم من الآفاق التونسية، أما رفقائهم أبناء الحاضرة فسكناهم بديارهم والتلاميذ الأفاقيون فمساكنهم بديارهم، وهذه المدارس من مآثر أهل البر[4]، ويمر الطالب في الجامع أثناء تعليمه بثلاث مراحل تعليمية:

المرحلة الأولى من التعليم تزاول بالجامع ويمكن مزاولها من الحصول على شهادة ابتدائية تسمى الأهلية.

المرحلة الثانية من التعليم تختم بشهادة التحصيل، أما مرحلة التعليم العالي تختم بشهادة العالمية والتلاميذ المحرزون على شهادة العالمية لهم الحق في طرق أبواب الوظائف العامة، فالذين زاولوا علوم الشريعة لهم أن يتقدموا لخطط العدالة والإمامة والقضاء والفتوى والتابعون في العلوم الوضعية لهم حق الإنخراط في

---

* هي الشهادة التي تختم بها الدراسة قبل إحداث نظام شهادة التحصيل سنة 1933م.

[1]- العياشي، مرجع سابق، ص 279.

[2]- عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، تر، سامي الجندي، ط1، دار القدس، لبنان، 1975، ص 60.

[3]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956: البعد العربي الإسلامي في نضال النخبة الجزائرية الزيتونية، ج2، د ط، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص ص 808-809.

[4]- بن الخوجة، مصدر سابق، ص 292.

الإدارات والمجالس والوكالة (المحاماة)، ومن أجل الانتقال من مرحلة لأخرى يخضع الطلاب لفحوص عامة في نهاية السنة الدراسية[1].

أما المواد التي يدرسها الطلبة في الجامع تتنوع على الأطوار التعليمية الثلاثة، كما يوضحها الجدول التالي[2]:

الأهلية	التأهيل (التطويع)	العالمية
عقيدة	عقيدة	تفسير
تلاوة قرآنية	حديث	علم التربية
حديث	قانون	حديث
قانون	ميراث	عقيدة
ميراث	تربية خلقية	منهجية قانونية
تربية خلقية	سيرة نبوية	تشريع
نحو	نحو	أحكام شرعية
بناء لغوي (مورفولوجيا)	بلاغة	نحو
بلاغة	عروض	بلاغة
أدب	علم مفردات اللغة	علم مفردات اللغة
كتابة	أدب	أدب
إملاء	منطق وفن الجدل	تاريخ
حساب	تاريخ عام	
هندسة	حساب	
تاريخ	علم الفلك وعلم التوقيت	
جغرافيا	هندسة	
نظافة	ثقافة عامة	
ثقافة عامة		

[1]– شترة، ج1، مرجع سابق، ص 742.

[2] - A.N.O.M.FR CAOM 39/4232-93/4233, service des liaisons nord- africaines, enquête sur la zitouna, p 36.

يتضح لنا من خلال الجدول مدى كثافة المواد المدرسة في جامع الزيتونة على المراحل الثلاث وهذا ما يدل على نوعية التكوين ومستواه قصد تخريج طلاب أكفاء (قضاة، مفتين، أئمة) ومصلحين إجتماعيين وسياسيين، وكان يسهر على إنجاحه علماء أجلاء [1].

2- مكتبات الجامع:

إن أغلب الجوامع كان لها مكتبات خاصة يستفيد منها طلاب العلم والمعرفة، وكان من المألوف أن كل جامع كبير من مكملاته خزانة كتب تحتوي على كتب مختلفة وخاصة فيما يتعلق بالعلوم الدينية كالتفسير والحديث والفقه تفتح للمطالعة، وكانت مكتبات الجوامع تتخذ مجتمعا للعلماء وطلاب العلم يتداولون في المسائل العلمية[2]، واتسعت وزادت كتبها بدعم من العلماء والأثرياء، وبذلك أصبحت مكتبات الجوامع عامرة بالكتب المختلفة[3]، وكانت في جامع الزيتونة مكتبات أهمها:

أ- **المكتبة الأحمدية:** أسسها أحمد باي الأول سنة 1840 وقام بتجهيزها بـ2527 مجلد، وفي 1842 أصدر الباي قانونا ينظم التعليم في هذه المؤسسة، وأهم ما جاء فيه إعادة تنظيم الدروس بجامع الزيتونة ووضعها تحت رقابة مجلس النظار* يضم شيخي الإسلام الحنفي والمالكي للسهر على الدروس ومراقبة المدرسين واختيار

[1] - A.N.O.M.FR CAOM 39/4232-93/4233, op.cit, p 36.

[2]- أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج2، ط3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962، ص 222.

[3]- أحمد عبد الباقي، معالم الحضارة العربية في القرن 3هـ، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991، ص 300.

* مجلس النظار: هي ادارة بالجامع أسندت لها عهدة المجلس تتركب من شخصي الاسلام الحنفية والمالكية. أنظر: محمد المختار بن محمود، جامع الزيتونة من أقدم الكليات العلمية في العالم وأكثرها إنتاجا، المجلة الزيتونية، المطبعة التونسية، مج2، ج3، ع57، ديسمبر1937، ص 129.

المرشحين لمناصب التدريس الشاغرة[1]، وقد علق هذه المنشور عند باب الزيتونة وهو مازال في مكانه إلى يومنا هذا[2].

وقد قال أحمد بن أبي ضياف في كتابه إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان الجزء الرابع "ثم وجه أحمد باي الأول عنايته للعلم الشريف، وأعان طلبته مما بقي أثره، وطاب في الأفاق خبرة وهو انه اشترى سائر كتب الوزير حسين خوجة المبيعة عليه في الدين بثمن بال، واشتر ى منها وأضاف إليها كتب آله الموضوعة في خزانة أسلافه".

ولمّا وصلت هذه الكتب إلى الجامع كان العلماء بانتظارها فتقدم العسكر على ترتيب نظامي بحملها ويخرج من غير الباب الذي دخل منه، وتولى الجماعة تطبيق أسماء الكتب على دفترها ثم وضعت في خزائنها العشرين على يمين المحراب وشماله، وأضاف لها أيضا من ذلك خزانة كتب الشيخ إبراهيم الرياحي بعد وفاته سنة (1266هـ/1849م)، وهذه الكتب هي أنفس قسم اشتملت عليه المكتبة الأحمدية لأنها جمعت بين الكتب القيمة المشرقية والمغربية، فصار الجميع 2626 مجلدا من مجموع الخزانة الرياحية زين بها صدر الجامع.

[1]– الثعالبي، تونس الشهيدة ، مصدر سابق، ص 55.

[2]– شترة، ج1، مرجع سابق، ص 735.

وزاد في المكتبة أيضا كتب الوزير أحمد بن أبي الضياف الذي باعها في حياته ومجموعها 1798 مجلدا، وألحق بعض الولاة مكتباتهم الخاصة بخزانة الجامع كالمرحوم القائد إبراهيم بن عباس الرزقي[1].

فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية:

هذا الجزء به الأدب، اللغة، البيان، العروض، النحو، الصرف، التاريخ، التراجم، المناقب، المواد الباقية، المنطق، الكلام، آداب البحث، الوعظ والتصوف، أصول الفقه، الفقه المالكي، الفقه الحنفي، الفرائض، الوثائق، الحساب، الهندسة، الهيئة والفلك والميقات، المعادن، الجغرافيا، الفلاحة، الطب، سر الحرف، الرؤيا، الأساطير، علم الفراسة، المعارف العامة، أو العلوم المشتركة، المصاحف، القراءات، التفسير، الحديث، مصطلح الحديث، السيرة النبوية[2].

ب- المكتبة العبدلية: أو الصادقية أنشأت منذ العهد الحفصي، وقام بإحداثها المشير باشا باي وأسسها أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن مسعود* بالرواق الشرقي لجامع الزيتونة مشرفة على جهة سوق العطارين[3]، أما فهرس المكتبة

---

[1]- عبد الحفيظ منصور، فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية بتونس، ط1، دار الفتح، بيروت، 1969،ص 06.

[2]- منصور، مرجع سابق، ص 09.

* درس بجامع الزيتونة، كان بارعا في الفقه والفرائض، وله شرح علي الدرة، كتب العديد من الكتب يقال انها تباع بضعف قيمتها على الآن لما على حواشيها من تقاريره واضحة البيان، عرف الزهد والتواضع، توفي سنة 1199م، ودفن بالجلاز، انظر: أحمد بن أبي ضياف، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، المجلد 4، ج7، د ط، الدار العربية للكتاب، تونس، ص 19.

[3]- بن خوجة، مصدر سابق، ص 299.

فتشمل المواد نفسها في المكتبة الأحمدية وفيها ما يزيد عن 5000 مخطوط في شتى المواضيع[1].

3- خزائن الكتب:

أمّا خزائن الكتب بمدينة تونس يعني بجامع الزيتونة وهي المقصودة بالذات، فأول ما ظهر من ذلك الخزانة العامة التي أحدثها أبو فارس عبد العزيز الحفصي في سنة 797هـ (1395م) وجعلها بالجامع الذي ذكرناه، وقام حفيده السلطان أبي عمرو عثمان وأضاف فيه سنة 839هـ (1435م) خزانة أخرى مشتملة على أهم الكتب وضعها بالمقصورة الشر قية بالجامع، وتعرف بمقصورة سيدي محرز بن خلف، ثم تلاه حفيده أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد المسعود فأسس في أوائل المئة العاشرة المكتبة المعروفة بالمكتبة العبدلية، وجميع هذه الخزائن الثلاث عبث بها الاحتلال الاسباني لتونس عام 980هـ (1572م)، إذ يقال أنهم مز قوها وكانت تباع بأبخس الأثمان[2]، وأصابها الدمار واندثرت الكثير من المعالم الدينية ووصل بهم الأمر أن اتخذوا من جامع الزيتونة إسطبلا لخيولهم وحملوا ما به من نفائس، وحمل البعض منها إلى روما حيث أهدوها لكنيسة الفاتيكان[3].

وقد ذكر بعض المؤرخين أن المار حول الجامع من جميع جهاته لا تكاد تقع قدمه على غير الكتب، فبادت جميع الكتب وتلاشت ولم يبق منها بالجامع إلا بضع نسخ من صحيح البخاري، واستمر الأمر على هذه الحالة إلى غاية القرن الثاني

[1]- منصور، مرجع سابق، ص 09.

[2]- بن خوجة، مصدر سابق، ص 299.

[3]- عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 88.

عشر، فقد كساه ثوب العلم الأمير المشير أحمد باي الأول، إذ قام بتأسيس دراسة العلم به مع تعميره بخزائن الكتب النافعة، صدر منه ذلك سنة 1256هـ (1840م)، هذه النهضة في عهد أحمد باي الأول تسللت أشعة أنوارها بالديار التونسية فأولدت المدرسة الصادقية، إذ قام بجمع الكتب الموجودة بمسجد بيت الباشا بباردو وأضاف لها كتب الوزير حسين خوجة باش مملوك التي باعها عليه دائنوه واشتراها بريالات فقط، ثم أضاف لها بعد ذلك ما أمكنه اقتناؤه من الكتب، هذه الكتب تضمنت عدة نفائس منها كناشات شيخ الإسلام العلامة الشيخ احمد كريم وديوان شعره الرقيق وبعض شرحه في الفقه الحنفي، وأضاف الوزير محمد خزندار المتوفي عام 1306هـ (1888م)، إذ وقف على الجامع خزانتين عامرتين بالكتب منها دائرة المعارف لبطرس البستاني، كما قام مصطفى بن اسماعيل واشترى كتب الفاريقين عصمات أمير عساكر المنستير وأضافها لما تقدمها من التحابيس على جامع الزيتونة وتوقف بعض العمال الأقدمين للتحبيس أيضا على خزانة الجامع الأعظم كإبراهيم بن عباس الرزقي حيث ألحق بخزانة الجامع المذكور مكتبته الخاصة[1].

[1]– بن خوجة، مصدر سابق، ص 304.

المبحث الثاني: رواد الإصلاح والتجديد في تونس والجزائر

1- تونس: (إصلاحات خير الدين باشا نموذجا)

أ- الوضع التعليمي للزيتونة قبل الإصلاحات:

لقد ظل التعليم الزيتوني خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تعليما تقليديا يهدف بالأساس إلى إعداد طلبة لا تتجاوز ثقافتهم الشريعة الإسلامية[1]، وقد اتسمت الوضعية التعليمية في جامع الزيتونة قبل إصلاحات خير الدين باشا بفوضى في التسيير الإداري للجامع وعدم وجود تنظيم متفق عليه في الامتحانات وحرية تصرف الأساتذة في وضع المناهج وتقرير الكتب[2]، وهذا ما أكده عبد العزيز الثعالبي في كتابه من أخباره وآثاره في المشرق والمغرب في قوله:" وتحتم على طلابه حضور الامتحانات في جميع المواد قديمة وحديثة وتشمل الحديثة علوم الفلك والهيئة والهندسة والطبيعيات والتاريخ والجغرافيا"[3].

وفي هذا يؤكد الطاهر حداد في قوله: ان هناك بعض المواد مكررة تقريبا في الدرجة الواحدة كإن عاشروا إبن تركي في السنة الأولى والتأودي وخليل في الرابعة والخامسة. ونظرا لهذه الوضعية ساءت احوال الجامع كما ساءت أحوال التدريس

---

[1]- حبيب حسن اللولب، أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، د ط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ص 123.

[2]- رابح فلاحي، جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر (1908-1954)، رسالة لنيل شهادة الماجستير إشراف عبد الكريم بوصفصاف، في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008، ص 35.

[3]- خرفي، مرجع سابق، ص 154.

فقلت عزيمة المتعلمين ورغبة الدارسين وانعكس ذلك سلبا على سير الامور داخل الجامع.

وقد تغلب في ذلك فكرة تقليد السلف والمحافظة على افكارهم وغلق باب الإجتهاد كما منع تدريس بعض التخصصات وإنقراض عدة علوم التي كانت تدرس مثل الطب والرياضيات والفلسفة.

ب/ إصلاحات خير الدين باشا:

لقد عرفت الزيتونة منذ القرن 16 وحتى مطلع القرن العشرين تحولا ليس في هياكلها فحسب وإنما في مناهجها وطرق التدريس فيها إستجابة لمطالب الحياة[1]، حيث ما ان تولى خير الدين الوزارة خلال الفترة بين سنة ألف وثمانمائة وثلاث وسبعين وألف وثمانمائة وسبع وسبعين حتى بادر بعدة إصلاحات في التعليم بالجامع المعمور[2]، إذ بدأ عمله الإصلاحي بعد أن وجد الامة في تدهور وإنحطاط الأمر الذي يسهل على فرنسا الإستيلاء عليها[3]وقبل ذلك كان وزيرا مستشارا عين الجنرال حسين* سنة 1871 في لجنة لتفقد الدروس بالجامع وهذا الأخير حرر تقريرا نشره

---

[1]- فلاحي، مرجع سابق، ص ص 35-36.

[2]- عبد السلام، مرجع سابق، ص 06.

[3]- شترة، ج1، مرجع سابق، ص 114.

* (.../1887م) ولد في قرية نائية في بلاد الجركس، أطلق عليه في البداية اسكندر، اختطف من قبل مجهولين إلى اسطنبول وباعوه إلى مبعوث باي تونس، التحق بالمدرسة الحربية ببارد و وبفضل اعتداله، تقلد جميع المناصب العسكرية في عهد المشير أحمد باي، ساعد الوزير خير الدينفي إصلاحاته بالزيتونة، توفي في فلورنسا ودفن بإسطنبول بجوار ضريح السلطان أحمد سنة 1887. انظر: الصادق الزملي، ، أعلام تونسيون، تق ، حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 79.

الرائد التونسي* في العدد المؤرخ في 06 سبتمبر 1871 وذكر انه لم يجد من الدروس درسا في تفسير القرآن وكثرة دروس الفقه والنحو وأن التلاميذ يحتاجون إلى أساتذة مختصين في مواد مختلفة وأقترح ان تضبط طرق التدريس في كتيب يوزع على التلاميذ والمدرسين وقد كانت أراء الجنرال حسين متأثرة بالطرق العصرية التي شاهد نجاعتها في أوروبا وقد شارك الجنرال حسين في الإصلاحات بالرأي ولم يقتصر خير الدين على إستشارته فحسب بل إستشار عدة علماء وما يدل على ذلك تشكيل لجنة اوكل إليها النظر في أحوال الدروس والمدرسين والطلبة في الجامع الأعظم وجاء الأمر القاضي بتكوين هذه اللجنة في 04 جمادى الأولى 1291 هـ الموافق ل 18 يونيو 1874 م وقد كانت تجتمع كل يوم إثنين برئاسة خير الدين وتضمنت ما يلي: أحمد بن الخوجة** المفتي الحنفي والطاهر النيفر القاضي المالكي وعمر بن الشيخ قاضي باردوا والعزيز بو عتور باش كاتب***.

* أسست عام 1860 كانت تعكس وجهة نظر الحكومة، أحدث عام 1911 أدارها الطيب بن عيسى ونشرت عدة مقالات ودراسات حول إصلاح التعليم، لعل أهمها العدد الصادر في جانفي 1911 وآخر ماي 1911. انظر: أمحمد المالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة المغربية، بيروت، 1999، ص 239.

** هو أبو العباس أحمد، نشأ هذا الشيخ في طلب العلم وحصل على درجة التحصيل، وهو أول من الأختام في رمضان، كان قاضيا في المذهب الحنفي، توفي 1241هـ/1826م، دفن بزاوية سيدي عقبة قرب داره، انظر: أبي ضياف، ج7، مصدر سابق، ص 143.

*** هو الوزير الشيخ محمد العزيز بن محمد الحبيب بن الطيب بن الوزير محمد بن محمد بوعتوركان موجودا سنة 705 هـ 1838م قام بتأسيس خزائن الكتب اشتراها من الوزير حسين خوجة، عين كاتب بديوان الإنشاء بباردو من طرف باش كاتب سنة 1262هـ/1845م، ثم اسند إليه رئاسة كتبة وزارة المال، ثم رقاه برتبة أمير اللواء، ثم عضو بالمجلس الاكبر، ثم مستشار بمجلس الشورى عام 1277هـ/1860م، ثم أمير الأمراء سنة 1281هـ/1864م، انظر: بن خوجة، مصدر سابق، ص ص 421-434.

ومحمد بيرم* رئيس جمعية الاوقاف والعربي زروق رئيس المجلس البلدي والشيخ المدرس أحمد الورتتاني[1] هذه اللجنة كان عملها متخصص في خمسة أبواب تتضمن سبع وستين أهمها:

الباب الأول: وهو يضبط المواد المقررة تدريسها وهي نوعين اختياريةواإجبارية مع تعيين الكتب القررة وإدخال كثير من العلوم والفنون موزعة على مراتب التعليم الثلاث.

الباب الثاني: فموضوعه المشايخ المدرسون ويتضمن توجيهات تتعلق بأساليب التدريس

الباب الثالث: يتعلق بأحوال التلاميذ وواجباتهم السلوكية.

الباب الرابع: تعرض إلى المشائخ والنظار مسؤولية الإشراف على التعليم والتلاميذ

وتخللت إصلاحات خير الدين أيضا إلى إحكام التنظيم الإداري بتعيين شيخ الجامع والزيادة في مرتبات المدرسين من ريالين إلى ثلاث ريالات في اليوم وتحديد قائمة المواد المرسة ودفتر للطلبة يجمع ملاحظات الأساتذة مع إعطاء عدة إمتيازات لطلبة الجامع الأعظم كإعفائهم من الخدمة العسكرية ومن الضرائب[2].

* هو أبو عبد الله محمد بن حسين بيرم، قدم مع سنان باشا لفتح البلاد الإسلامية، واختار بع الفتح المقامة بها، توفي في آخر شوال عام 1214هـ/26 مارس 1800م عن عمر ناهز 84 عاما، انظر: أبي ضياف، ج7، مصدر سابق، ص ص 30- 36.

[1]- عبد السلام، مرجع سابق، ص ص 66-67.

[2]- شترة، ج1، مرجع سابق، ص ص 735-736.

وقد بقيت هذه الإصلاحات حبرا على ورق فيما يتعلق بتدريس العلوم الحديثة بسبب معارضة بعض كبار الشيوخ الذين كانوا يرون اقتصار التعليم الزيتوني على العلوم الإسلامية.

إذ كان خير الدين ضابطا لإدارة الجامع ولأحوال المدرسين والتلاميذ ومعينا للعلوم التي تدرس بالجامع وللكتب التي تدرس بها، وبقيت هذه الأوامر معمولا بها إلى غاية 1328هـ/1909م، وبعد ذلك ظهر أن التراتيب المذكورة صارت لا تفي بحاجيات التعليم التي اقتضاها هذا الزمان وأدرك ضرورة تنقيعها وإدخال أحكام جديدة ونهض التلاميذ أنفسهم مطالبين بإصلاح التعليم بالمعهد الزيتوني، وبمقتضى ذلك تكونت لجنة من رجال العلم والإدارة كلفت بوضع قانون جديد للجامع وزيادة فنون وكتب لابد منها، ووضعت اللجنة قانونا ضابطا لتلك الأمور كلها في 05 شوال 1330هـ الموافق لـ 26 سبتمبر 1916م، واستمر العمل بهذا القانون حسبما دعت الضرورة إليه في ذلك الحين، ولكن هذه الأعمال لم تنجح لأسباب لم يعرفها الباحثين إلى اليوم[1].

لقد لجأ خير الدين إلى تنظيم الإدارة والتشديد من الأسباب التي تؤدي إلى محاربة الفساد، وأعاد تنظيم الأوقاف والقواعد الإجرائية في المحاكم الشرعية، وتحسين المدن وتعزيز مطبعة الحكومة وتوسيعها، وإنشاء مكتبة وطنية، بالإضافة إلى إصلاح التعليم في جامع الزيتونة، وإنشاءه المدرسة الصادقية، إذ انتهج خير الدين سياسة الإبقاء على التوازن بين الدول الثلاث فرنسا وانجلترا وايطاليا التي كانت

[1]– محمد المختار بن محمود، جامع الزيتونة من أقدم الكليات، المجلة الزيتونية، المطبعة التونسية، مج 2، ج2، ع57، نوفمبر 1937، تونس، ص 53.

لها مصالح في تونس وذلك بمحاولة عدم التنازل لأي منها، إلاّ أن انتهاج سياسة التوازن كانت فكرة خاطئة فقوة تونس لا تصل قوة الدول الأوروبية، وخسر خير الدين في الأخير تأييد جميع الدول وأصبح عاجزا عن الوقوف في وجه الباي، وبذلك انتهت سياسة خير الدين في تونس عام 1877م، حيث تلقى دعوة من السلطان عبد الحميد ليكمل حياته هناك[1].

ج- المدرسة الصادقية[2]: هي مؤسسة تعليمية أنشأت أساسا لتدريس العلوم والمعارف الجديدة مزاولة مع العلوم الإسلامية لتكون إمتدادا للتعليم الزيتوني[3]، أنشأت عام 1875م بطلب من الوزير خير الدين مهمتها الأولى هي تكوين من نسميهم اليوم بالإطارات الإدارية، وقد بينت جريدة الرائد أن هذه المدرسة أهلية أي عمومية تسيرها الدولة وتضمن نفقاتها وخريجي هذه المدرسة ستكون لهم الأولوية في الوظائف العمومية[4].

وتتألف هذه الكلية من ثلاث شعب الأولى للدراسة العربية الثانوية والثانية لتدريس علوم الفقه والثالثة لتدريس اللغات الأجنبية والعلوم العقلية كالرياضيات والفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية والتاريخ والجغرافيا، وكانت الغاية من هذه

[1]- إبراهيم أحمد محمد الشياب، الحياة السياسية في تونس (1857-1881)، رسالة لنيل درجة دكتوراه في التاريخ، إشراف علي محافظة، الجامعة الأردنية، 1998، ص 15.

[2]- انظر الملحق رقم 02، ص 87.

[3]- بن عاشور، مرجع سابق، ص 29.

[4]- عبد السلام، مرجع سابق، ص 71.

المؤسسة ان تعد نخبة مثقفة ثقافية علمية وا يجاد إطارات وطنية، كما تم ارسال عدد من البعثات إلى أوروبا كل عام تحضيرا لهم لدخول الجامعات والمدارس العليا[1].

وتم تدريس هذه العلوم وأدرجت عدة لغات كالإيطالية والتركية والفرنسية، وفي نفس الوقت تم جلب عدد من الأساتذة الأوروبيين[2].

محدودية الإصلاحات:

تعود محدودية هذه الإصلاحات وهشاشتها إلى عوامل كثيرة لعل أبرزها:

- سوء الحالة الاقتصادية والحالة العامة لتونس.
- طبيعة النظام السياسي الذي لم يكن يساعد على تطبيق الإصلاحات.

بالإضافة إلى عوامل خارجية نذكر:

- المعاهدات التي فرضتها القوى الأوروبية على تونس.
- سياسة المديونية حيث افترضت تونس أموالا طائلة من الدول الأوروبية وعجزت عن تسديدها مما أدى إلى وضع المالية التونسية تحت الرقابة الأجنبية[3].

[1]- الثعالبي، تونس الشهيدة، مصدر سابق، ص ص 56-57.

[2]- حسن اللولب، مرجع سابق، ص 55.

[3]- نفسه، ص 56.

د- المدرسة الخلدونية: فتحت أبوابها سنة 1896م وتعهدت بأن تقدم لطلبة الجامع الأعظم ما يكمل ثقافتهم المعاصرة[1]، وقامت بدور فعال في توعية الزيتونيين ومهمتها الأساسية هي السعي بطريقة عملية للوسائل الموصلة لتوسيع المعار ف وترتيب الدروس والمحاضرات باللغة العربية في العديد من العلوم كالحساب والمساحة والجغرافيا والتاريخ واللغة الفرنسية والكيمياء، ولا تزال حتى اليوم بالجامع المعمور[2]، وكانت تعتبر عمليا الفرع العصري للجامعة الزيتونية[3]، وكان مقرها بسوق العطارين، حيث تنسب إلى العلامة ابن خلدون وأسست بإيعاز من بشير الصفر*[4]. إذ كان علي بوشوشة** من أنشط مسيريها وأشدهم مثابرة وبفضل أراءه السديدة وخبرته الواسعة بشؤون البلاد التونسية استطاع أن يحتل مكانة مرموقة ضمن الهيئة المديرة للجمعية[5]، وقد كانت هذه المدرسة متعاونة مع الزيتونة على تحقيق نهضة ثقافية أحسن بالبلاد، فقد كان للخلدونية معهد ثانوي مستقل يدرس فيه طلبة الزيتونة

---

[1]- محمد الهادي شريف، ما يجب ان تعرف عن تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص 113.

[2]- حسن اللولب، مرجع سابق، ص 125.

[3]- شترة، ج2، مرجع سابق، ص 846.

* (1865-1917) ولد بمدينة تونس في 27 فيفري 1865، درس بالمدرسة الصادقية، أجبرته الحكومة الفرنسية على إكمال دراسته الثانوية بمعهد سان لويس بباريس، رجع إلى تونس 1882، وهو أحد مؤسسي الجمعية الخلدونية، نشر عدة مقالات حول المسائل الاجتماعية والسياسية، توفي عام 1917 دفن بالعاصمة التونسية، انظر: الزملي، مرجع سابق، ص 121.

[4]- بوطيبي، مرجع سابق، ص 16.

** (1859-1917) ينحدر من عائلة بنزرت من مدن الساحل الجزائري، كان مندفعا نحو دراسة العربية والتركية والفرنسية في المدرسة الصادقية، أسس جريدة الحاضرة سنة 1888 مع ثلة من الشباب التونسيين للنهوض بوطنهم، انظر: الزملي، مرجع سابق، ص 133.

[5]- نفسه، ص 136.

العلوم العصرية كاللغات الأجنبية، وطبيعة ورياضيات، وكيمياء، وتاريخ وجغرافيا تنتهي بإحراز على شهادة البكالوريا العربية التي تهيئ الطلبة إلى الإلتحاق بالجامعات العربية في المشرق للتخرج في هذه المواد، ومن ثم يمكن إمداد الزيتونة بمدرسين قادرين على تحقيق الإصلاح المنشود في جامع الزيتونة[1].

2/ الجزائر (الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة):

أ- الطلبة الجزائريين بالزيتونة:

منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 إزدادت الهجرة الجزائرية نحو تونس وتعود هذه الهجرة لعدة أسباب منها الاقتصادية بسبب ارتباط الاقتصاد الجزائري بالفرنسي[2]، وأسباب اجتماعية كانتشار الجهل والأمية، وقد هاجر الجزائريون نحو تونس بسبب إكمال دراستهم أو لطلب العلم بشكل فردي أو جماعي وبدأت المدارس التونسية تستقطب الجزائريين، ولعل في طليعتها جامع الزيتونة[3]، وأول هؤلاء الطلبة كان على رأسهم عبد الحميد بن باديس الذي جاء إلى جامع الزيتونة سنة 1908 وعمره آنذاك 19 عاما ليستكمل تعليمه الثانوي والعالي، ومكث بالجامع أربع سنوات نال خلالها على شهادة العالمية ثم مكث عاما خامسا للتدريس بالجامع على عادة الطلبة المتخرجين آنذاك، حيث يقضي الواحد منهم عاما للتدريس

[1]- الزملي، مرجع سابق، ص 222.

[2]- عبد الحميد زوزو، الهجرة الجزائرية ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919-1939)، ط2، الجزائر، 1985، ص 35.

[3]- بوطيبي، مرجع سابق ، ص 12.

بالجامع قبل العودة إلى بلاده[1]، ثم تلته العديد من الهجرات الطلابية نحو الجامع الأعظم وهذا ما يوضحه الجدول التالي:

الجيل الأول	من 1900 إلى 1918	حوالي 45 طالب
الجيل الثاني	من 1919 إلى 19ك39	حوالي 692 طالب
مرحلة الحرب العالمية الأولى	من 1940 إلى 1945	حوالي 170 طالب
الجيل الثالث	من 1946 إلى 1956	حوالي 4125 طالب

نلاحظ انخفاض كبير لعدد الطلبة خلال فترة الحرب العالمية الأولى وهذا راجع إلى الأوضاع السياسية والعسكرية التي كانت سائدة، بالإضافة إلى غلق معظم المعاهد التونسية أبوابها بسبب الحرب[2].

كما أن الأوضاع التونسية كانت أحسن حالا من الجزائر، إذ كانت تنعم بالاستقلال إلى غاية فرض الحماية الفرنسية عليها سنة 1881، بالإضافة إلى تطور الحياة العلمية والثقافية كانت من العوامل المساعدة على الهجرة نحو تونس[3].

[1]– تركي رابح عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، ط2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009، ص ص 30–31.

[2]– شترة، ج2، مرجع سابق ، ص 945.

[3]– بوطيبي، مرجع سابق ، ص 14.

أبرز المشاهير الزيتونيين في القرن العشرين من حيث المولد والوفاة[1]:

الاسم واللقب	الولادة والوفاة	ملاحظات
صالح بن مهنة	1854-1910	من مواليد القل، نشأ بقسنطينة وتعلم بها.
محمد المكي بن عزوز	1854-1915	من طولقة (بسكرة) توفي بالأستانة
محمد التوهامي شطة	/-1915	من الأغواط توفي في الأستانة بعد أن مكث مدة في سوريا
الحنفي عاشور	1848-1929	
بن سماية عبد الحليم	1866-1933	من مدينة الجزائر، اشتغل بالتدريس
السوفي ابراهيم	1888-1934	
حسين بولحبال	؟ -1897	
عبد الحميد بن باديس	1889-1940	ولد بقسنطينة، درس بالزيتونة
مبارك الميلي	1898-1940	ولد بميلة تعلم بقسنطينة ثم الزيتونة
مامي اسماعيل	1889-1956	
الزهراوي محمد السعيد	1899-1956	ولد في قرية ليانة في بسكرة، تعلم في قسنطينة ثم في تونس
العربي التبسي	1895-1957	ولد في تبسة، تعلم في نفطة كان مصلحا فريدا من رواد الزيتونة
أطفيش إبراهيم	1888-1965	من بني يزقن تعلم في تونس، نفي إلى القاهرة حتى وفاه الأجل
أبو اليقضان	1888-1973	من بني يزقن عاد إلى الجزائر سنة 1925 من تونس
رمضان حمود	1906-1929	من غرداية تعلم بتونس، توفي في مسقط رأسه
مفدي زكرياء	1912-1976	ولد بوادي ميزاب، رحل إلى تونس لإتمام دراسته، انتقل إلى المغرب
هواري بومدين	1932-1978	من مواليد قالمة، انتقل إلى تونس عام 1949 واصل تعليمه في الأزهر.

[1]- فلاحي، مرجع سابق، ص 54.

مشاهير الزيتونيين الجزائريين خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين[1]:

الاسم واللقب	تاريخ الولادة والوفاة بالهجري	تاريخ الولادة والوفاة بالميلادي
أطفيش إبراهيم	1385-1305	1965-1888
عبد الحميد بن باديس	1359-1308	1940-1889
حسين بولحبال	؟ -1315	؟ -1897
التبسي العربي	1276-1312	1957-1895
التهامي شطة	؟- 1333	؟- 1915
الحنفي عاشور	1347-1264	1929-1847
لز اهري محمد السعيد	1376-1318	1956-1899
عزوز بن محمد	1334-1270	1915-1854
السوفي إبراهيم	1353-1307	1934-1888
سماية بن عبد الحليم	1351-1283	1933-1866
مامي إسماعيل	1376-1308	1956-1889
مهنة بن صالح	1323-1271	1910-1854
الميلي مبارك	1364-1316	1954-1898
اليقضان أبو إبراهيم	1393-1306	1973-1888
الزهراوي الهادي	1383-1320	1969-1902
رمضان حمود	1347-1324	1929-1906
صالح بن يحي	؟- 1367	؟- 1948
مفدي زكريا	1396-1331	1976-1912
هواري بومدين	1399-1351	1978-1932

[1]- فلاحي، مرجع سابق، ص55

ب- علاقة معهد ابن باديس في قسنطينة بالزيتونة:

عاد ابن باديس*[1] إلى مسقط رأسه سنة 1912 وانتصب التدريس بالجامع الأخضر** وجامع سيدي قموش*** وتهيأ لإعداد خطة سياسية تمكن الجزائر من صمودها الثقافي ومقوماتها الحضارية العربية[2]، وفي 1947 أنشأ معهد عرف باسمه معهد ابن باديس والهدف من انشاءه هو بعث مرحلة جديدة من التعليم الثانوي على غرار المعاهد الزيتونية. وفكرت جمعية العلماء المسلمين**** أن تجعل هذا المعهد فرعا من فروع الزيتونة.

---

* (1889-1940) ولد بقسنطينة، إلتحق بجامع الزيتونة سنة 1908 تخرج منه مطوعا سنة 1912، أسس عدة جرائد كالمنتقد والشهاب وجمعية العلماء المسلمين 1931 ترأسها لغاية وفاته للتوسع، أنظر: شترة، ج3، مرجع سابق، ص 207.

[1]- انظر الملحق رقم 03، ص 88.

** أسسه الباي حسين عام 1741، يقع في حي رحبة الصوف المدينة القديمة حاليا، وقد درس به الشيخ ابن باديس حتى وفاته، كان عدد طلبته عام 1917 200 طالب. انظر: عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد عبد باديس، ج1، د ط،دار مداد يوني فارستي، الجزائر، 2009، ص 374.

*** من أقدم مساجد المدينة، يرجع تاريخه إلى القرن الثامن أو التاسع هجري، يقع بزقة الخط 23 رقم 3، هذه الزقه متفرعة عن نهج بن عميرة من نهج 19 جوان نهج فرنسا سابقا، وهو من أملاك آل باديس بقسنطينة، قامت بترميمه سنة 1924، وأحدثت به بيوتا لمسكن الطلبة. انظر: بوصفصاف، مرجع سابق، ص 375.

[2]- محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1962)، د ط، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 37.

**** تأسست في 5 ماي 1931 بنادي الترقي بالجزائر العاصمة، وتم انتخاب الهيئة الإدارية للجمعية، عبد الحميد بن باديس كرئيس والبشير الإبراهيمي نائبه، والرئيس الحالي لها عبد الرحمن شيبان. انظر: محمد الصالح الصديق، المصلح والمجدد الإمام بن باديس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص ص 36-37.

وللحصول على اعترافها أقامت الجمعية حفلا حضره محمد الطاهر بن عاشور* كرئيسا شرفيا وعرضوا في الحفلة على مدير الزيتونة رغبة جمعية العلمياء المسلمين فعبر بفرحة شديدة عن معهد يحمل اسم أحد طلبة الجامع الأصفياء عبد الحميد بن باديس[1].

ولنجاح مشروعه أخذ يصطفي النجباء من التلاميذ ويهيئهم لأول بعثة نحو جامع الزيتونة سنة 1913، لكن اندلاع الحرب العالمية الأولى واغلاق المعاهد والمدارس في تونس جعل هذه البعثة لا تحقق الحلم[2]، وقد استند عبد الحميد بن باديس في ذلك على محمد المبارك الميلي** والعربي التبسي*** لوضع ركائز لحركة

* (1879-1973): ولد بقصر جده بضاحية المرسي في الشمال التونسي، نشأ في بيت علم ومعرفة، عايش مرحلتين المرحلة الأولى مرحلة انتصاب الحماية والثانية الاستقلال للتوسع، انظر: محمد حسين، التنظير المقاصدي عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، أطروحة لنيل درجة دكتوراه دولة، إشراف عمار ساسي، في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2002-2003، ص 24.

1- محمد صالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، د ط ، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 35.

2- نفسه، ص 38.

** ولد بالأغواط سنة 1929، شغل عدة مناصب إعلامية وسياسية، درس بالجامع الأعظم 1947-1952، تحصل على شهادة التحصيل ابن الشيخ ابراهيمي الميلي وصهر الشيخ العربي التبسي للتوسع، انظر: شترة، ج3، ص 110.

*** (1896-1957) ولد بتبسة، رحل إلى تونس للدراسة بالجامع الأعظم إلى سنة النهائية ودرج بالجامع الأزهر 04 سنوات، ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين، اغتالته السلطات الفرنسية للتوسع، انظر: شترة، ج3، ص 90.

علمية تربوية وإصلاحية لنفض الغبار على المجتمع الجزائريوإيقاظه من سباته العميق[1].

وقد ظهر هذا المعهد كالمنار للعروبة والإسلام بالجزائر، وقد سبقته عشرات المكاتب القرآنية والمدارس وما ارتباطه بجامع الزيتونة إلا خطوة أولى لتحقيق وحدة العروبة بالعلم والعمل لا بالقول والكسل ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون[2].

وكان هذا المعهد يتبع جامع الزيتونة في جميع برامجه وامتحاناته ودروسه، ويشرف على امتحاناته السنوية ثلة من علماء الزيتونة يزورون الجزائر في كل سنة دراسية لإجراء الاختبارات والامتحانات والإشراف على تخريج تلامذة هذا المعهد وبعض الفروع المنتشرة في المدن الجزائرية[3].

وقام عبد الحميد بن باديس بجعل معهده في قسنطينة كملحقة رسمية لجامع الزيتونة حتى يتسنى للطلبة الجزائريين الالتحاق تلقائيا بالزيتونة مباشرة بعد إنهاء دراستهم الإعدادية في معهد ابن باديس[4].

وقد اعتبر عبد الحميد بن باديس الابن البار لجامع الزيتونة، وقد صرح في العديد من المناسبات أن الفضل في تكوينه العلمي والإصلاحي يرجع إلى أساتذته

---

[1]– هلال عمار، نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة التحرير (1954–1962)،د ط، دار هومة، الجزائر، ص 89.

[2]- شترة، ج3، ص 209.

[3]– صالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، مصدر سابق، ص 29.

[4]– شترة، ج2، مرجع سابق، ص 911.

في الزيتونة وعلى رأسهم محمد النخلي، والبشير صفر، والطاهر بن عاشور، إذ يقول ابن باديس "المشائخ الذين علموني العلم وخطوا لي مناهج العمل في الحياة، ولم يبخلوا استعدادا في حقي أذكر منهم رجلين كانا لهما الأثر البليغ في حياتي العلمية أحد الرجلين هو حمدان لونيسي، أما الثاني فهو محمد النخلي القرواني".

وكانت مجلة الشهاب هي لسان الحركة الإصلاحية التي قربت ما بين الأمة وأزالت ما بينهم من جفاء[1]، وهاجمت البدع والخرافات في أيام عزها واشتدادها[2].

ج/ جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين:

تأسست جمعية الطلبة الجزائريين سنة 1934 بعدما كان يرسل عبد الحميد بن باديس الدفعات من الطلبة الجزائريين إلى جامع الزيتونة[3]، وقد اوكلت جمعية العلماء المسلمين إلى البشير الإبراهيمي* مهمة الاتصال مع الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة، وتفقد أحوالهم وحثهم على تكوين جمعيات طلابية وثقافية والكتابة في الصحف للتعريف بقضيتهم[4]، وقد أسندوا رئاستها إلى الشيخ المختار بن محمود

---

[1]– محمد البشير الابراهيمي، كلمة التصدير، مجلة الشهاب، المطبعة الجزائرية، مج14 ،ج4، ، جوان– جويلية 1938، ص154.

[2]– عبد الحميد بن باديس، أثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج5، د ط، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2005، ص 553.

[3]– عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913—1940)، ط1، دار الشهاب، لبنان، 1999، ص 107.

* (1889–1966) ولد برأس الواد قرب سطيف، هاجر إلى الحجاز قبيل الحرب العالمية الأولى، رجع إلى الجزائر عام 1920 ساهم في تأسيس جمعية العلماء، توفي بالعاصمة 1966، انظر: شترة، ج3، مرجع سابق ص 101.

[4]– الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، مصدر سابق ، ص 35.

(1909-1976م) أحد كبار علماء الزيتونة وعرف بصلاته الوطيدة بالطلبة الجزائريين[1]، وبعد مدة قصيرة ترأسها الشيخ عبد اليد حيرش الذي قام بالتعريف بها وتشهيرها وفي سنة 1935 عقدت مؤتمر انتخب فيه الشيخ الشاذلي المكي رئيسا لها

وظل يشرف عليها إلى غاية اندلاع الحرب العالمية الثانية إذ تعطل نشاطها وسافر رئيسها إلى القاهرة، وبعد نهاية الحرب عادت إلى نشاطها بدعم من الشيخ احمد المسعودي.

والهدف من إنشاء هذه الجمعية هو جمع الطلبة الجزائريين وتوحيدهم للتعريف بقضيتهم، كما ذكرنا آنفا والتعاون مع الأشقاء التونسيين وتكون بمثابة سفارة لجمعية العلماء المسلمين[2].

وخلاصة القول أن جامع الزيتونة كان مكانا للتعليم وفق مناهج تربوية في مختلف مراحلها لتعليم الطلبة من كافة أقطار العالم الإسلامي للإستفادة من كتب مكتبات الجامع النفيسة بنوعيها الأحمدية والعبدلية، وقد مرّ التعليم بالجامع بعدة إصلاحات استقصينا إصلاحات خير الدين كنموذج تخللتها تأثر الوزير بأوروبا من خلال إدراج اللغات الأجنبية في نظام التعليم مع إنشاءه للمدرسة الصادقية، وقد كان للجزائريين نصيب من التعليم في الجامع، ولعل أبرزهم الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي قام بإنشاء معهد باسمه في قسنطينة كفرع للزيتونة وتنظيم هؤلاء الطلبة في جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين.

[1]- الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، مصدر سابق، ص 36.

[2]- بوطيبي، مرجع سابق، ص 48.

الفصل الثالث

الدور السياسي لجامع الزيتونة

المبحث الأول: عبد العزيز الثعالبي كنموذج

المبحث الثاني: النضال السياسي لطلبة الجامع وردة فعل الاحتلال

المبحث الأول: عبد العزيز الثعالبي كنموذج

عرف جامع الزيتونة بمنارة تونس العلمية والثقافية إذ كان له الفضل في تخريج أغلب النخب التونسية على اختلاف توجهاتها إذ يعد المنبع الأول لأي توجه علمي وفكري وحتى سياسي، إذ أن أغلب زعماء الحركات التحريرية في تونس زيتونيين ويصرخ في وجه كل مستنقص لدور جامع الزيتونة قديما وحديثا، إذ كان جامع الزيتونة دائما قلعة الأمة في حماية دينها ولغتها في جميع أوقات الشدائد ومن ما خطط له الاستعمار الإقامة التفرقة بين أصناف المتعلمين التونسيين، وبذلك كان طلاب الزيتونة يسجلون في التاريخ حركة عظمة في المطالبة بالإصلاح التي لم تخمد جذورها طيلة مدة الحماية ،فلعب جامع الزيتونة دور في الجانب السياسي وكان له الفضل في تخريج دفعات من مصلحين ممن تبلور لديهم أفكار ووعي بقضيتهم والتي كان نواتها جامع الزيتونة ومنه انطلق مضمار الإصلاحات السياسية ومن هؤلاء العظام نذكر عبد العزيز الثعالبي . كنموذج للدور السياسي الذي انبثق عن الجامع المعمور .

1- التعريف بعبد العزيز الثعالبي

ولد عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمن الثعالبي[1] بمدينة تونس في 14 شعبان 1223هـ، 1874م تعلم على يد جده المجاهد عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر، ثم هاجر إلى تونس هربا من تعسف فرنسا، درس النحو والعقائد والآداب[2]، إذ كان تلميذا يدرس في

[1]- انظر الملحق رقم 04، ص 89.

[2]- أنور الجندي، عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984، ص 10.

الصادقية، كان يتميز بجدارة سنه بالذكاء والاندفاع، وبغزارة المعرفة والإشعاع[1]، التحق بجامع الزيتونة وقضى فيه سبع سنوات وتخرج منه سنة 1896 حاملا لشهادة التطويع وأخذ يتردد على المدرسة الخلدونية لإتمام الدراسات العليا[2]، ثم انضم إلى الحزب الوطني الإسلامي وكتب في العديد من الجرائد والصحف مما جعل السلطات الفرنسية تضييق عليه الخناق فاختار الفرار إلى طرابلس إذ استقر شهر في المدينة بن غازي بعد ذلك قصد الأستانة سنة 1898 مرورا باليونان وبلغاريا ثم توجه إلى مقر حيث التقى هناك بمفكرين سياسيين ثم عاد مرة أخرى إلى الأستانة، وفي 1902 رجع إلى تونس وهناك تعرض للعديد من الضغوطات الفرنسية[3].

إذ سجن عام1906ثم عام 1912 وأخير عام 1920، وفي عام 1923 نفت فرنسا عبد العزيز الثعالبي تاركةفي البلاد الحزب الدستور ي الحر الذي أسسه، ليحمل من بعده راية الجهاد مع كبار أعضاء الحزب الذين خلفهم، إلا أن الاستعمار الفرنسي عرقل مشاريع الحزب ومع هذا فإن الإدارة كانت تتصل بزعيمها وتعلمه بمشاريعها[4].

وفي سنة 1933 انضم مجموعة من الشباب التونسي أتموا دراستهم في الخارج في عضوية مجلس إدارة الحزب وحاولوا أن يعيبوا أساليب الحركة الوطنية[5].

ومع ذلك فإن السجن لم يمنع الثعالبي من الجهاد إذ بقي يجاهد داخليا وخارجيا لنشر الوعي من خلال الصحف والجرائد مثل جريدة التونسي ونتيجة لهذا النشاط قامت السلطات

---

[1]- الثعالبي، تونس الشهيدة، مصدر سابق، ص 09.

[2]- الجندي، مرجع سابق، ص 10.

[3]- نفسه، ص 75.

[4]- عبد العزيز الثعالبي، الكلمة الحاسمة، تق، حسن أحمد جغام، د ط، منشورات دار المعارف، تونس، 1989، ص 13.

[5]- نفسه، ص 13.

الفرنسية بنفيه فاختار منفاه في مصر ليكون قريبا وملتفا بالقضية الوطنية[1]، إذ زار الثعالبي العديد من الدول مثل مصر، الجزائر، المغرب، إيطاليا، اليونان، الهند، سنغافورة، الفيلبين، وبعد هذه الرحلات عاد إلى تونس سنة 1937. وتوفي فيها ودفن بمقبرة الزلاج بتونس، تاركا وراءه مجموعة كبيرة من التآليف منها تونس الشهيدة، الإتحاد الإسلامي، جريدة سبيل الرشاد، روح التحرر في القران، الكلمة الحاسمة، معجزات محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، الرحلة اليمينية، تاريخ الهند، وأثار أخرى تحت الطبع. وبذلك استمر الثعالبي يناضل ضد الاستعمار في كافة أنحاء الوطن العربي وذلك إلى غاية وفاته سنة 1944م رحمه الله[2].

2- النشاط السياسي لعبد العزيز الثعالبي:

أخذ جامع الزيتونة منحى آخر فإلى جانب التعليم تحولت قناعات النخبة الى التوجه نحو التأطير السياسي، ومن خريجي هذا الجامع الأعظم الثعالبي الذي كون رفقة الشباب التونسي حركة وطنية ثم حزب تونسي الذي تحول إلى حزب تونس الفتاة، ثم أسس الحزب الحر الدستوري التونسي الذي أعلن عنه في مارس عام 1920 وكان برنامجه سياسيا بالدرجة الأولى. كما عرض الثعالبي كراسته الشهيرة المعروفة بتونس الشهيدة والتي نشرها بباريس سنة 1920 تحمل برنامجا سياسيا عارض فيها ما ارتكبه النظام الاستعماري في تونس[3].

---

[1]- علي محجوبي، النهضة الحديثة في ق 19 لماذا فشلت في مصر وتونس ونجحت في اليابان، د ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1982، ص 155.

[2]- عبد الله، مرجع سابق، ص 209.

[3]- الهادي الشريف، مرجع سابق، ص ص 115، 116.

أ-حركة الشباب التونسي:

لقد كان للثعالبي المتشبع بالثقافة الزيتونية نشاط سياسي، ارتبط مع حركة الشباب التونسي التي جاءت مع تخرج الفوج الأول من تلامذة المدرسة الصادقية، وأعلام الإصلاح من الزيتونة، وكان هدف الحركة مقاومة الاحتلال والمحافظة على الهوية الوطنية ومقومات الشعب التونسي، وتطورت على يد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ومن أشهر رواد هذه الحركة البشير صفر، اذ بدأ علي باش حمبة* في تنظيم صفوفها ونشر أفكارها[1]، إذ ارتبط التونسيون في حركتهم الوطنية بالمشرق العربي إلى حد كبير، وكان من أشهر من كتب في الصحافة الوطنية الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي درس في الزيتونة ثم في المشرق العربي ليعمل في الصحافة التونسية، وقد تأثر الوطنيون بآثار التجديد الذي حمل لواءها الشيخ محمد عبده، الذي زار تونس في شهر نوفمبر 1884 زيارة دامت أربعين يوما، اتصل فيها برجال الحركة الإصلاحية وعلماء جامع الزيتونة[2].

انظم الثعالبي إلىحر كة الشباب وكان من الأعضاء المؤسسين لها سنة 1907، والتي طالب فيها بفتح الحوار مع السلطات الفرنسية واحترامهم لمعاهدة الحماية[3]. إذ جاء في

---

*أعتبر ه علال الفاسي أول زعيم في ضرورة توحيد المغرب العربي في ميدان الكفاح، وهو من مواليد 1875 من أصل تركي، بعد دراسته في معهد الصادقية التحق بباريس للحصول على إجازة في الحقوق، مارس بعدها المحاماة في تونس، واندفع في الحياة السياسية مؤسسا جمعية قدماء أصدقاء معهد الصادقية عام 1906 ليصبح بعدها قائد للوطنيين التونسيين (حركة تونس الفتاة). انظر: مالكي، مرجع سابق، ص 238.

[1]- نفسه، ص 152.

[2]- عبد المنعم الهاشمي، موسوعة تاريخ العرب في العصر الحديث، د ط، دار البحار، لبنان، 2006، ص 304.

[3] - Ahmed Kassal, histoir de la tunisie conte mporaire, 1er ed tunis, imprimerie société tunisienne de diffusion, 1976, p 375.

افتتاحية جريدة التونسي* التي وقعها علي باش حمبة والتي تأسست عام 1907 كما ذكرنا من قبل وهي أول جريدة تونسية تصدر باللغة الفرنسية تضمنت ما يلي: لقد بدأ عمل فرنسا يأتي أكله في تونس، فهناك جيل جديد تثقف باللغة الفرنسية وانطبع بأفكارها ، بدأ آنذاك يأخذ مكانه في التجديد القائم، وهو إيمانا بهذا الهدف أنشأ جريدة التونسي، وبإلحاح من الثعالبي صدرت نشريه عربية عن الجريدة هي "الاتحاد الاسلامي" تولى الثعالبي تحريرها،

كما أصبح الثعالبي الناطق الرسمي في تونس لنضال ليبيا، اذ أشرف على صندوق تبرعات وطني لمد الكفاح الليبي، وبحدوث حادثة الزلاج وهي مقبرة في ظاهر تونس الجنوبي الشرقي، اختلقت البلدية والأوقاف على ملكيتها، وحرص الأهليون على أن تبقى وقف، وفيها مقام سيدي بلحسن من القرن 06هـ. وتحولت إلى معركة بين الطاليان والعرب، كانت حصيلتها 09 قتلى فرنسيين و05 من الطليان و21 من قوات الأمن وحوالي 30 تونسيا. عدا الجرحى من الطرفين[1].

وبوقوع حادثة الترامواي سنة 1912 والتي كان يقودها إيطالي، دهس طفلا تونسيا وعمره ثمانية سنوات وهو "أحمد إبراهيم الحربي" فقاطع الناس الشركة وألفوا جبهة قيادة على رأسها علي باش حمبة وأضربت المدينة وطالبت بالمساواة بالأجور بين العامل التونسي والأجنبي[2].

* جريدة سياسية أسبوعية أسست في فيفري 1907 برئاسة علي باش حمبة ولدراة عبد الجليل الزاوش، وقد حددت في أول عدد لها المقاصد التي من أجلها تأسست بقلم علي باش حمبة. انظر: مالكي، مرجع سابق، ص 238.

[1]- الزملي، مرجع سابق، ص ص 10-13.

[2]- نفسه، ص 13.

وفي 15 مارس 1910 قام طلبة جامع الزيتونة بمظاهرات وأضربوا عن الدراسة مطالبين بالإصلاح ووجدوا مساندة من الحركة الوطنية وقد بلغت درجة الوعي حدا كبيرا لدى الطلبة الزيتونيين الذين عرفوا بنضالهم المستميت من أجل قضيتهم وقد بدأ كفاح الزيتونيين منذ عام 1901م في سنة 1907 شكلوا جمعية طلابية سميت "جمعية طلبة الزيتونة"، وقد كان الزيتونيين في طليعة الكفاح الوطني منذ القديم حيث أنه بانضمامهم للحركة الوطنية تقوت هذه الحركة بعناصر نشطة وحركية[1].

ب-حركة تونس الفتاة:

يعد عبد العزيز الثعالبي رائد النهضة التونسية، فبعدما تخرج من جامع الزيتونة ثم المدرسة الخلدونية ، وعمل في جريدة سبيل الرشاد سنة 1904، و أنشأ حزب التقدم ثم حزب تونس الفتاة، اذ كان حزب التقدم يعمل على ضرورة مشاركة التونسيين في حكم بلادهم دون أن يمس نظام العامة، ويخشى من عملية قيام الفرنسيين بمنح الجنسية الفرنسية ليهود تونس بشكل يزيد من عددهم في البلاد وطالب بالمشاركة في إدارة شؤون البلاد عن طريق الشورى أو الدستور، وكان هذا الحزب الأساس الذي تشكل عليه حزب تونس الفتاة[2]عام 1907 ويبدو من الاسم الذي اختيرللحزب أنه كان متأثرا بحركة تركيا الفتاة[3]، فبعد أن قامت ثورة تركيا الفتاة بتأسيس حزب الاتحاد والترقي سنة 1326هـ-1907م. غير الحزب اسمه

[1]- الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية (رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956)، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ص50.

[2]- الزيدي، مرجع سابق، ص ص 228-229.

[3]- الهاشمي، مرجع سابق، ص 304.

فأصبح تونس الفتاة [1]، وذهب شوقي الجمل في كتابة المغرب العربي الكبير، أن حزب تونس الفتاة تأسس عام 1907، وفي حد قوله أن البعض يشبهون هذا الحزب في أهدافه ونشأته بالحزب الوطني المصري[2]وتزعم الحزب التونسي بشير صفر وعلي باش حمبة[3]، كان للثعالبي نشاط في حركة تونس الفتاة التي أدت دورا في العمل الوطني، وبذلك كان على جامعة الزيتونة أن تقوم بوظيفة التعبئة من أجل صيانة الهوية والشخصية التونسية في بعديها العربي والإسلامي وبرز نشاطه في جريدة التونسي التي أصدرت في 07 فبفري 1909 يبرز فيها مبدأ الحركة على أنها حركة إصلاحية تعمل على التعايش بين التونسيين والفرنسيين في ظل نظام الحماية بشرط المساواة بالإضافة إلى لفت أنظار الرأي العام الفرنسي لمعاناة التونسيين. هذه الحركة حملت بين طياتها إصلاحا إسلاميا تمثل في شخصيتين علي باشا حمبة وعبد العزيز الثعالبي، ومع الوقت أصبحت الحركة تحمل مشروعا وطنيا نص على إصلاح التعليم وفتح أبواب الوظائف في وجه التونسيين وإصلاح أوضاع الفلاحين ولعل واقع التعليم بجامع الزيتونة و برامجه الإصلاحية هي التي حكمت قناعات النخبة التونسية في نطاق حركة تونس الفتاة[4]. وبذلك شهدت تونس تشييدا متواصلا من الناحية السياسية. ينبع من بين حركة تونس القناة لتستنفذ الأدوار التي يقتضيها العمل الوطني قطريا ومغاربيا، فقد ركزت على مجمل أعضاء النخبة التونسية وبضرورة إصلاح

[1]– اسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر قارة إفريقية، ج2، د ط،دار المريخ، المملكة العربية السعودية، 1993، ص 104.

[2]– عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 411.

[3]– الهاشمي، مرجع سابق، ص304.

[4]– صالح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب)، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1993، ص97.

هذه المؤسسة . فهذا الشيخ سالم حميدة يكتب في جريدة التونسي مقالا بعنوان "هواجس الصدور في الجامع المعمور"[1].

وباندلاع الحرب العالمية الأولى (1914-1919) اعتمد زعماء حزب تونس الفتاة المقيمون في الأستانة على الدعم الألماني في سبيل التصدي للاستعمار، كما ساندهم حزب تركيا الفتاة في انتفاضتهم ضد فرنسا في شمال إفريقيا في السنوات الأولى للحرب، ومن الأستانة اتصل باش حمبة بكثير من القادة في العالم العربي أمثال شكيب أرسلان وبذلك تشكلت في الأستانة (1908-1917) هيئة كانت تعمل على جمع الأسرى من المغرب العربي كله في ألمانيا وتركيا[2].

جـ-الحزب الحر الدستوري التونسي:

في أعقاب الحرب العالمية الأولى وفي ظل بروز قادة حركة الشباب التونسي أخذ هؤلاء التونسيون بالداخل مهمة إعادة بناء الحركة الوطنية وتنظيمها ولم يغيبوا عن الساحة السياسية التونسية، وبانتهاء الحرب تحلى هؤلاء الزيتونيين ليعطوا الحركة الوطنية التونسية دفعا لتأسيس حزب وطني تونسي، فعقد أهم اجتماع في مارس 1919م برئاسة خير الله بن مصطفى[3]، وبذلك قام الشباب التونسي المثقف بتكوين حزب سياسي في نفس السنة، وقد انضم إليه عبد العزيز الثعالبي وإن كان قد صرح أنه مجرد خطوة نحو الاستقلال[4]. وحملت

---

[1]- مالكي، مرجع سابق، ص 238.

[2]- الهاشمي، مرجع سابق، ص 305.

[3]- قدادرة شايب، الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري 1934-1954 دراسة مقارنة، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الدولة ، إشراف عبد الرحيم سكفالي، في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، 2006-2007م، ص78.

[4]- الزيدي، مرجع سابق، ص 138.

مطالب جريدة التونسي وطالبت بوضع دستور للبلاد واستعمل فيها الدعاية فتقرر تأسيس الحزب الحر التونسي والذي ضم إلى جانب الثعالبي أحمد الصافي وحسن قلاته زيادة على أنصار علي باش حمبة ومنهم محامين وصحفيين وأطباء، وأرسلوا مذكرة للرئيس الأمريكي ولسن إلا أنه وضع القوى الحليفة فوق مبادئه واعتبر القضية التونسية من قضايا فرنسا الداخلية، واعترضت الحكومة الفر نسية على أية مشاركة تونسية في مؤتمر الصلح، وعمل الحزب على استعطاف الأحزاب اليسارية في فرنسا في نطاق عصبة الأمم، وعول كثيرا على أحمد السقا الذي التحق به عبد العزيز الثعالبي في جويلية 1919م بباريس، واستطاع الحزب أن يكسب للقضية متعاطفين ومن ذلك أن الحزب الاشتراكي الفرنسي اعتزم النظر في القضية التونسية وعرضها على مجلس النواب، ونتيجة النشاط المكثف للوفد نجح بالتعريف بالقضية التونسية في الجمعيات والصحف، إلا أن فشل الحزب الاشتراكي في انتخابات أكتوبر 1919م كان بمثابة ضربة قاضية خيبت آمال النخبة، الأمر الذي جعل أعضاء الحزب ينقسم بين مؤيد للحماية ورافض لها ويدعوا للاستقلال ومثله علي باش حمبة[1]، وكان هناك وجود تواصل واستمرارية بين النخبة التونسية التي أطرت الحزب ووجود الوعي لدى نخبتها السياسية القائدة، وقد أعلن الحزب في 1920م عن برنامجه والذي تمثل في:

- إنشاء مجلس تشريعي مشترك من تونسيين وفرنسيين.
- تأسيس حكومة مسؤولة أمام المجلس التشريعي.
- الفصل بين السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية.

[1]- شايب، مرجع سابق، ص ص 78-79.

- كفالة حرية الصحافة والاجتماعات.
- المساواة في الأجور والالتزامات بين الفرنسيين والتونسيين.
- جعل التعليم إجباريا.
- تشكيل مجالس محلية.
- منح التونسيين حق شراء أراضي الدولة[1].

ولم تستجب فرنسا لهذه المطالب ثم اكتفى بإصدار كتاب "تونس الشهيدة"، ثم عاد الأعيان التونسيين وقدموا مطالبهم للباي الذي وافق على وزارة عدل تونسية، وسمح للثعالبي بالعودة إلى تونس وألغى حالة الطوارئ، وسمح للثعالبي بالسفر إلى اسطنبول، ثم سافر إلى فرنسا وهناك تألفت جمعية أصدقاء المعمرين والأهليين وجمعية (الاتحاد الفرنسي، الأهلي) وارتفعت أصوات ضد الحكم في المستعمرات.

وبذلك كان حزب الدستور القديم حزبا قوميا وكانت قيادته في غالبيتها من الأسر التونسية القديمة، وكان معظم هؤلاء القادة من جماعة الزيتونة، واستطاع هذا الحزب أن يستقطب[2] ولاء غالبية الشعب التونسي وهو بذلك يشبه حزب الوفد في مصر والمعاصر له، فكان أفراد حزب الدستور رجال دين، قضاة، تجار، وكان حزبا وطنيا تقليديا غايته الأولى تحقيق مطالب الشعب التونسي بتحسين الأوضاع السياسية والاجتماعية[3]، كما سمح الباي لأكثر من 20 صحيفة بالصدور غير أنه لم ينجح في تحقيق مطالبه ونتيجة للسياسة

[1]- عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 412.

[2]- الثعالبي، الكلمة الحاسمة، مصدر سابق، ص 13-14.

[3]- قدورة، مرجع سابق، ص 475.

الفرسية ضد الشعب التونسي أرسل الحزب الدستوري وفدا برئاسة الطاهر أحمد الصافي لمفاوضة الحكومة الفرنسية، لكنها رفضت مقابلة الوفد فاكتفى الطاهر بتقديم مذكرة تضمنت مطالب الحزب أهمها المساواة مع الفرنسيين، حرية الصحافة والاجتماع، وتم إصدار جريدة "الصوت التونسي" (1318هـ/1929م) من قبل الشاذلي خير الله، ومن خلالها عقد مؤتمر للحركة الوطنية في أكتوبر 1930، وثم انتخبوا للكفاح برئاسة الشاذلي وعضوية بورقيبة، وتمكنوا من إحباط محاولات فرنسا وتم عرض قضية تونس في مؤتمر حقوق الإنسان 1349هـ/1930م وأصدر بورقيبة جريدة العمل التونسي 1932م/1351هـ ودعى لعقد مؤتمر سنة 1933 للجهاد من أجل تحقيق الاستقلال[1].

د- كتابه "تونس الشهيدة":

عرض الثعالبي كراسته "تونس الشهيدة" والتي نشرها عام 1920م بباريس[2]، وقد ساهم هذا المؤلف في تتويج أفكار الثعالبي وأحمد السقا بالعاصمة الفرنسية باريس، إذ أسهم في تحليل نظام الحماية، طرح فيها مطالب الشعب التونسي، وصور حالة تونس نتيجة الاستعمار المسلط على البلاد التونسية اذ صرح باستعمار الأراضي وتدهور الاقتصاد وسياسة التمييز في ميدان الجباية والأجور، وان الفرد التونسي وخاصة حاملي الشهادات خرقت حقوقه وحرياته العامة، ومن المطالب التي جاءت في تونس الشهيدة أولها الاستقلال ثم أرسل هذا البرنامج في رسالة بتاريخ 07 مارس 1920م إلى الثعالبي الذي أعاده في 18 من نفس الشهر بعد النظر فيه وتنقيحه[3].

---

[1]- ياغي، مرجع سابق، ص ص 109-110.

[2]- الهادي شريف، مرجع سابق، ص 116.

[3]- شايب، مرجع سابق، ص ص 79-80.

وتم إصدار الثعالبي لكراسته الشهيرة في وقت كان رفقائه يفكرون ببعض الإصلاحات فحسب لا على الاستقلال فأصدر "تونس الشهيدة" دون توقيع، فنجح نجاحا منقطع النظير، وعمل على تعميمه في حنكة ومهارة أرسله بالبريد إلى كل المسؤولين في فرنسا ونواب وموظفينكبار، وإلى المحافظات الفرنسية وتمكن بوسائله الخاصة من ايصاله إلى تونس فتناقلته الأيدي سرا واستلهمته الناس في كتابة العرائض حملتها للباي، واقتطفت منه الصحافة الحرة مقاطع كثيرة ونشرتها[1].

كان لكراسة عبد العزيز الثعالبي برنامج سياسي عارض فيها كل ما ارتكبه الاستعمار الفرنسي في تونس، وحملت المطالب التونسية المذكورة من قبل، وبذلك كان لهذه الكراسة صدى كبير[2] الأمر الذي جعل حسن الجلاتي إلى نشر مقالا في جريدة "تونس الاشتراكية" يهاجم فيه كتاب "تونس الشهيدة" ويلومه على أنه أزعج الرأي العام الفرنسي، كما أعاب على علي العسافي أنه لم يفعل شيء في فرنسا إلا أنه لغى القرض الذي كانت تريد فرنسا عقده مع تونس، ورد العسافي مدافعا عن نفسه وعن صديقه وصمت الثعالبي، أما الجريدة التي نشرت المقال فقد قاطعها الباعة وأهملها الناس[3]، وبذلك كان همزة وصل بين الرأي العام الفرنسي وتونسي ويقال أنه أول كتاب جدي يظهر عن بلد عربي في الغرب.

3- موقف الاحتلال الفرنسي من الثعالبي:

لقد تم نفي وتشريد قادة الحركة الوطنية إلى الخارج وعلى رأسهم عبد العزيز الثعالبي وعلي باش حمبة، إذ سرعان ما اعتقلت سلطات الحماية الفرنسية زعماء حزب تونس الفتاة

[1]- الثعالبي، الكلمة الحاسمة، مصدر سابق، ص ص 17-18.

[2]- الهادي شريف، مرجع سابق، ص117.

[3]- الثعالبي، الكلمة الحاسمة، مصدر سابق، ص ص 19-21.

عام 1911 ونتيجة لتصاعد المظاهرات والمصادمات أطلقت الشرطة الفرنسية النيران على المتظاهرين، كما قامت بحل حزب تونس الفتاة ونفيهم خارج تونس[1]، ونتيجة لمطالب الشعب التونسي إثر حادثة الترامواي تحركت السلطات الاستعمارية حتى لا تفلت زمام الأمور منها وحملت زعماء الحركة الوطنية مسؤولية المقاطعة، وتم اعتقال عبد العزيز الثعالبي وعلي باش حمبة وآخرين، واشتدت المقاطعة على إثر نفي زعماء الحركة إلى الجزائر وفرنسا، وكانت أحكام النفي صدرت في حق علي باش حمبة الذي هاجر إلى تركيا والشيخ الثعالبي الذي التحق بالجزائر ثم مصر، فتعددت معاناة الشعب التونسي وقد وصفها الشاعر التونسي الشاذلي خزندار الذي وصف حال التونسيين في:

في الجد أو في اللعب أرواحنا في نهب
من حادث لحادث مستنكر مستغرب
حتى من والتونس مستهدف للكرب
لم يخل يوم واحد من باعث للعجب
وقائع بين الضلو ع انتقشت لا تكتب
قطائع مما لها أحشاؤنا في لهب
منستبد إحصائها حسبت أو لم تحتسب[2]

ونتيجة لإصدار عبد العزيز الثعالبي "تونس الشهيدة" الذي فضح فضحا كاملا دسائس الاستعمار في حق الشعب التونسي، اعتقلت السلطات الفرنسية الثعالبي وأرجعته إلى تونس مكبلا بالحديد ورمته في أحد سجونها واتهموا الثعالبي في دينه ورموه بالزندقة[3]، إذ أحدثت

[1]- الهاشمي، مرجع سابق، ص 305.

[2]- عبد الله، مرجع سابق، ص ص 50- 52.

[3]- عبد الله، مرجع سابق، ص 54.

كراسة الثعالبي ضجة كبيرة لم يطيقها الفرنسيين في تونس والإدارة الاستعمارية ما انجر عنه إلقاء القبض عليه في باريس عام 1920 وجيء به إلى تونس، وكانت التهمة التآمر على أمن الدولة التونسية[1]، كما أن الإدارة الفرنسية رأت أنه يدعو للتعليم ويتناقض مع السياسة الفرنسية فواجه مجموعة من الاتهامات الباطلة وذلك لضياع صيته بين الناس فرأى فيه هؤلاء المحافظين إهانة للعلماء[2].

كما أن الحكومة الفرنسية لم تستجب لمطالب الحزب الدستوري التونسي الذي مثله عبد العزيز الثعالبي، بل وتمادت إلى القبض على الثعالبي زعيم الحزب وأودعت به في السجن[3]، ولإثارة الخلاف والتفرقة بين أعضاء حزب الدستور والثعالبي عملت الإدارة الفرنسية على إقامة الدسائس وضربت أعضاء الحزب بعضهم ببعض، كما قامت بتعطيل الصحف وإغلاق النوادي والجمعيات، مما كان سببا في رحيل الثعالبي إلى المشرق العربي حيث عاش متنقلا بين القاهرة وبغداد وفلسطين[4]، ولما أصبح هذا الحزب يمد فروعه في كل مكان تقريبا وينظم لاجتماعاته تولد لدى السلطة الاستعمارية قوة تبعث على القلق والانشغال فر دت السلطة في 03 سبتمبر 1934 بأن أوقفت مسيري الحزب ونفتهم إلى جنوب البلاد ومنعت كل نشاط سياسي[5]

[1]- الثعالبي، الكلمة الحاسمة، مصدر سابق، ص 18.

[2]- الجندي، مرجع سابق، ص ص 16-17.

[3]- قدورة، مرجع سابق، ص 476.

[4]- الهاشمي، مرجع سابق، ص 306.

[5]- الشريف، مرجع سابق، ص 122.

المبحث الثاني: النضال السياسي لطلبة الجامع ورد فعل الاحتلال

1- النشاط السياسي للطلبة الزيتونيين:

لقد تجاوز نشاط الطلبة حدود الجامع الأعظم ليصل إلى الساحة السياسية لأنهم كانوا يتعرضون لضغوطاتمن سلطة الحماية مما دفعهم إلى توخي الطرق النقابية وإتباع أساليب الأحزاب السياسية[1]، ولعل الدور البارز للحركة الطلابية الزيتونية يعود لأعضاء الحركة الوطنية التونسية ومن بينهم علي باش حمبة وعبد الجليل الزاوش وعبد العزيز الثعالبي اذ تقدموا بفكرة تجميع الطلبة في منظمة خاصة بهم منذ أن تأسست حركة الشباب التونسي وظهور جريدة التونسي عام 1907، ومطالبتهم بإصلاح التعليم الزيتوني اذ وجهوا عريضة تتضمن ما يلي:

- تخليص الطلبة من الضريبة المفروضة عليهم.
- تلقي دروس في التاريخ والجغرافيا من طرف أساتذة متخصصين.
- جعل مواعيد الدروس في أيام وساعات معينة.
- جلب مبررات معقولة من طرف الشيوخ في حالة غيابهم عن الدروس.

إذ يتبين لنا أن المطالب كلها تتضمن تحسين ظروف الدراسة والإقامة والإعفاء من الضرائب[2]، وفي 16 ماي 1910 قام الطلاب بمظاهرة هادئة بين الزيتونة والقصبة فقبضت الشرطة على اثنين منهم وتعقدت الأمور فتدخل جماعة حركة الشباب التونسي بعد يومين من الإضراب زار علي باش حمبة وعبد العزيز الثعالبي مركز الطلبة وألقوا خطابا دام

[1]- شترة، ج1، مرجع سابق، ص 818.

[2]- العياشي، مرجع سابق، ص 145.

ساعتين بمحضر الطلبة مهدئا ونجح بوساطته بينهم وبين السلطة الحاكمة فخرج الطلبة من السجن منهم في اليوم الأول والأيام التي تلته فقاموا بتظاهرة كبرى حملوا فيها رفقائهم على الأكتاف[1].

ونظم الزيتونيين مع حركة الشباب التونسي اجتماعا عاما بالساحة المواجهة للمدرسة الصادقية في 13 ماي 1910 احتفالا بانتصارهم وخطب فيها جماعة الحركة ومن بينهم عبد العزيز الثعالبي، غير أن سلطة الحماية قامت بطرد سبعة عشر طالبا من الجامع الأعظم وأماكن سكن الطلبة إلى الجنوب تحت المراقبة المدنية وسجن البعض منهم أربعة أيام مع الطرد من التعليم، والبعض الآخر طردوا لمدة سنة واحدة من الجامع الأعظم وهذا من أجل الحفاظ على الأمن الداخلي ويكونوا عبرة لغيرهم من الطلبة في المستقبل[2].

ورغم ذلك لم ينته النشاط الطلابي وظلت هذه الحركة ضد سلطة الحماية وتهاجمها أمثال توفيق المدني الذي قامت فرنسا بالقبض عليه وسجنه وحدث إضراب آخر في 06 أكتوبر 1922 قام به طلبة جامع الزيتونة، وهذا الإضراب تضمن احتجاجهم على جلب فرنسا لعدد من سكان اليونان إلى مدينة بنزرت التونسية بعد هزيمة هؤلاء أمام تركيا، وتزعم هذه المظاهرة عبد الرحمن اليعلاوي الذي أرسل العديد من البرقيات المعارضة لمشروع التجنيس وهذا ما أدى بالشرطة الفرنسية بالقبض عليه بتهمة تحريض طلبة الجامع المعمور[3]، وظلت الإضرابات متواصلة من طرف طلبة جامع الزيتونة منها إضراب 1933 وإضراب 1936، حيث حصلت مواجهة بين الطلبة ورجال الأمن برحبة الغنم في 22 فيفري 1936وأسفر في نهاية الأمر عن اعتقال ثلاثة وثلاثين طالبا وإبعادهم عن مناطقهم

[1]- الثعالبي، تونس الشهيدة، مصدر سابق، ص 11.

[2]- العياشي، مرجع سابق، ص ص 146-204.

[3]- نفسه، ص 147.

الأصلية[1]، وكدعم لطلبة الجامع قامت جمعية طلبة شمال إفريقيا بتنسيق نشاطها مع طلبة الجامع في مختلف الشؤون الطلابية، وفي هذا الإطار عقدت الجمعية العديد من المؤتمرات في تونس والجزائر والمغرب ومن بينها المؤتمر الذي عقد في أوت 1934 في المدرسة الخلدونية في تونس حضره طلبة الجامع الأعظم وأساتذته وطلبة من الجزائر وتونس وتضمنت مطالب الطلبة ما يلي:

- تدريس اللغة العربية في كل دول شمال إفريقيا
- إصلاح التعليم في جامع الزيتونة.
- إصلاح التعليم في جامعة القيروان وفاس.
- تعليم المرأة المسلمة وفي هذا المؤتمر لم تنافس المطالب السياسية من الجزائر والمغاربة.
- ضرورة التعليم المهني والفلاحي في شمال إفريقيا[2].

ولعل أول حركة انبعث من جامع الزيتونة الذي كان بطلابه وعلمائه مصدر إزعاج للسلطات الفرنسية هي حركة الشيخ محمد السنوسي التي تعتبر أول حركة وطنية في تونس بعد فرض الحماية الفرنسية عليها[3].

[1]– شترة، مرجع سابق، ج1، ص 750.

[2]– بوطيبي، مرجع سابق، ص 42.

[3]– حلمي محروس إسماعيل، تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004، ص 424.

وقد أرسل الشيخ وفودا شعبية لمقابلة الباي من أجل مطالبته بوقف إجراءاته التعسفية التي يمارسها الفرنسيون، وعلى إثر ذلك نفته السلطات الفرنسية خارج البلاد وبعد ذلك قاد الحركة الشيخ المكي بن عزوز وكان من بين أهدافه هو فضح الشيوخ المعارضين، إدخال الإصلاحات إلى البلاد ونفته هو كذلك السلطات الفرنسية إلى المشرق العربي وتوفي هناك وبقيت أفكاره الثورية راسخة في أذهان تلامذته من الشباب التونسيين ومن بينهم عبد العزيز الثعالبي الذي أخذناه كنموذج في بحثنا نظرا لدوره البارز في تاريخ الحركة الوطنية التونسية من خلال إنشاءه مع بعض التونسيين جريدة باللغة الفرنسية إسمها "المستقبل التونسي" وجريدتين باللغة العربية "سبيل الرشاد" و"حبيب الأمة"[1].

2- رد فعل الاحتلال ضد نشاط الطلبة الزيتونيين:

حينما بدأت بوادر العمل السياسي في بداية القرن العشرين عن طريق تقديم العرائض والمطالب كان جامع الزيتونة المكان الأول التي تثار فيه القضايا خاصة قضايا الحزب الدستوري، إذ يقول توفيق المدني:" كنت في دوائر الزيتونة المبشر الرسمي لتلك المهمة الصالحة بين أوساط الطلبة صغارا وكبارا وذلك بحكم اتصال وثيق بقادة الحركة"[2].

وقد حاولت سلطة الاحتلال في تونس أن تقف في وجه تلك الإصلاحات التي قام بها المصلحون في جامع الزيتونة مثل إصلاحات خير الدين باشا التي قمنا بدراستها فيما سبق، وإصلاحات أخرى هي إصلاحات الطاهر بن عاشور حيث اقترح برامج إصلاح في التعليم وإنشاء فروع للزيتونة وقوبلت بالرفض من سلطة الاحتلال كي لا تنشر أفكارها وتبقى في

[1]- محروس إسماعيل، مرجع سابق، ص 425.

[2]- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات) في تونس 1905-1925، ج1، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973، ص 162.

مجال ضيق، وعدم ترك جامع الزيتونة يسير وفق المعاهد التعليمية المنظمة حسب الطرق الحديثة[1]، وقد أدى ذلك إلى عدة إضرابات أدت إلى اعتزال الطاهر بن عاشور من الجامع سنة 1936 إلى غاية عام 1945 وأثناء عودته رفض ابن عاشور طرد بعض الطلاب ينتمون إلى صوت الطالب الزيتوني مما أدى به إلى الإبعاد مرة أخرى ولم يعد إلا بعد الاستقلال سنة 1956[2].

إن السلطات الفرنسية وقفت في وجه حركة الإصلاح الزيتوني منذ إعلانها الحماية على تونس سنة 1881، حيث اعتمدت في سياستها على منع تطوير الثقافة الإسلامية واللغة العربية حتى لا تكون أداة للنهضة وربط تونس بالثقافة الفرنسية، كما قامت سلطة الاحتلال من منع الزيتونيين من تقلد الوظائف الإدارية باعتبارهم ينتمون إلى الثقافة العربية الإسلامية وليست لديهم أي ثقافة عصرية أي ثقافة فرنسية، وحتى تضع سلطات الاحتلال حدا لتلك الإضرابات التي كان يقوم بها الطلبة في جامع الزيتونة للمطالبة بالإصلاح بسوء المعاملة وغالبا ما كانت تنتهي بالنفي والزج في السجون[3].

وقد قابلت فرنسا منذ الوهلة الأولى لإعلانها الحماية بعدة مشاريع إصلاحية في جامع الزيتونة لتتحكم به وتضبط زمام الأمور في يديها أعلنت مشروعين ألا وهما نذكر:

[1]- العياشي، مرجع سابق، ص ص 54-55.

[2]- فلاحي، مرجع سابق، ص 111.

[3]- محجوبي، مصدر سابق، ص 116.

أ- مشروع لويس ماشوال:

قام لويس ماشوال كخبير في تونس مكلف بدراسة وإعادة التعليم داخل الجامع الأعظم وفي المعهد الصادقي وقد أعطى الباي مرسوما في 06 مارس 1883 له تتضمن صلاحيات واسعة فهو نص على أن ماشوال أستاذ لغة عربية مكلف بإدارة الشؤون التي تهم التعليم في تونس بما فيه الزيتونة.

وهذه الصلاحيات تتجاوز الصلاحيات التقليدية للمشايخ المحافظين الذين أعلنوا عاداتهم ضد لويس ماشوال الذي أكد أن التعليم عنصر مؤثر لفرض الحماية على تونس ومن أجل خفض هذا العداء قام بتسخير كل شيء من أجل جلب التونسيين إلى الاثخراط في البرنامج الإصلاحي ويمكن الشباب التونسي الفوز بخطط داخل مصالح إدارة الحماية وأداة لإضعاف الشعور المعادي لفرنسا.

حاول لويس ماشوال منذ تعيينه أن يبسط سلطته على جامع الزيتونة بدمجه في أجهزة التعليم الرسمي من خلال تدخله في التعليم المشايخ وفي 1894 أصبح الموضوع أكثر وضوحا بعد تعيين روني ميلي (1894-1900) مقيما عاما لفرنسا بتونس وكان متحمسا بدوره للإصلاح التعليم بجامع الزيتونة وفي سنة 1898 دعا مدير التعليم إلى عقد مجلس للإصلاح التعليم يتكون من شيوخ الزيتونة وقدم ماشوال مشروعا يهدف إلى تقسيم التعليم العربي إلى ثلاث مستويات. ابتدائي، ثانوي، وعليه اقترح أن تتخصص الجامعة الزيتونة في التعليم العالي ويتخصص أساتذتها في مادة أو مادتين فقط وفرض المراقبة على الطلبة وضبط الكتب المدرسية[1]، وذكر ماشوال أمام لجنة الإصلاح يجب أن يكون التعليم الزيتوني متطورا وأفضل في محتواه ومنهاجه وبهذا الشر يط يصبح لسكان الايالة مستوى ثقافي يصلون

[1]- شترة، مرجع سابق، ج1، ص 753.

به إلى سكان البلدان المتحضرة ، وأحس علماء الزيتونة أنهم معنيين بهذا النقد وحكما عليه بأنه يتجاوز صلاحياتهم ومكانتهم في المجتمع ولما شعر ماشوال أنه أحدث نوعا من الإجماع في ردود الفعل لدى العلماء أصبح بيدي الاعتدال في تصريحاته معلنا أنه يشجع التعليم العربي بتونس[1].

ب- مشروع بلان دنقزلي:

بلان هو الكاتب العام للحكومة التونسية ووزير القلم الجديد مصطفى دنقزلي أعد هذا الثقافي مشروعا أغلب محاوره مستمدة من مشروع ماشوال سالف الذكر حيث أصدر أمر يقضي بتكوين لجنة الإصلاح التعليم الزيتوني والنظر في مشروع دنقزلي بلان وعين دنقزلي نفسه رئيسا لتلك اللجنة وهي تتركب من 18 عضوا و6 مشايخ تابعين للمجلس الشرعي واستعادت 4 محاور نص عليها مشروع ماشوال وهي:

مراحل التعليم: ينقسم التعليم الزيتوني إلى ثلاث مراحل مميزة ابتدائي وثانوي وعالي

مواد التدريس: إقحام الدراسات الدينية الشرعية، الدراسات الأدبية واللغوية، الدراسات العصرية.

المدرسون: نص المشروع على إحداث صنف جديد من مدرسي التعليم العالي برتبة أستاذ وإقحام مبادئ التربية الحديثة في التعليم الزيتوني.

المناظرات: تطبيق المناظرات لانتخاب أعضاء هيئة التدريس وذلك للقضاء على التجاوزات التي تمس التعليم.

[1]- شترة، مرجع سابق، ج1، ص 756.

وقد كان مشروع دنقزلي بلان يقتضي بالضرورة الزيادة في عدد الموظفين التابعة للجامعة الزيتونية ويقرر ذلك اتخاذ إجراءات تتعلق بشروط القبول و النظام الدراسة وحصص التعليم والامتحانات والنظام التأديبي[1].

وحتى تضع السلطات الفرنسية حدا للنشاط الطلابي ويتم القضاء عليه، اعتمدت مجموعة من الأساليب المتنوعة من أجل القضاء على تلك النشاط الذي ذكرناه في المطلب الأول وردت عليه بالمحاكمات القضائية وزجهم في السجون والمعتقلات وإصدار قرارات تتضمن طرد الطلبة من الجامع الأعظم ومن السكنات الطلابية ووضع البعض منهم تحت الرقابة الأمنية ولعل الجدول التالي يوضح لنا طبيعة العقوبات التي أصدرتها فرنسا في حق الطلبة الذين قاموا بالإضرابات ونوع العقوبات المترتبة.

[1]- شترة، مرجع سابق، ج1، ص ص 758-759.

العقوبات الفرنسية في حق الطلبة الذين قاموا بالإضرابات[1]:

نوع العقوبة	السنة	عدد الموقوفين	سبب العقوبة	المنطقة المرحل لها
الطرد من الجامع الأعظم والإقامة 15 يوما 4 طلاب	1934م	7 تونسيين+ بعض الطلبة الجزائريين والمغاربة	القيام بأنشطة دستورية في سبتمبر 1934، تكوين شعبة دستورية تورط في حوادث 1929.	
الطرد من الجامع الأعظم والسكن وإقامة أحكام سجن (3-10) أشهر + غرامة مالية الإقامة الجبرية وحضر الإقامة في بعض المناطق المعرضة لرقابة.	1936م	66 طالب تونسي 20 طالب جزائري تم طردهم.	إثارة الشغب في الجامع في قفصه والقيروان، القيام بنشاط في الحزب الدستوري التحريض عن الإضراب عن الدستور والعصيان، القيام بمظاهرة في الطريق العام بقفصه.	المناطق الداخلية والساحلية ما عدا طالب جزائري واحد.
الطرد من الجامع الأعظم وسكن الطلبة. الإقامة الجبرية والمراقبة الإدارية.	1937م	22 طالب تونسي متهم 3 جزائريين في مارس، 2 في أفريل، 17 في ماي.	تكوين لجان طالبة، التحريض على الإضراب عن الدروس، إثارة الشغب، تحرير لائحة أمضاها سكان الكاف، تكوين جمعية غير معترف بها.	المناطق الداخلية والساحلية

[1]- فلاحي، مرجع سابق، ص 42.

كما ضايقت سلطة الحماية خريجي جامع الزيتونة إذ لم تتخصص مالية من أموال الدولة للتعليم العربي أو تعليم اللغة العربية بما في ذلك التعليم الزيتوني، كما أن الشهادات التي كان يقدمها جامع الزيتونة لم يكن معترفا بها بإستثناء العمل في الجامع الأزهر أو جامع الزيتونة فالجامعات الأخرى الشرقية والغربية لا تعترف بهذه الشهادات[1].

ولا شك أن كل عمل نضالي ضد قوى الإستعمار الأجنبي بالبلاد تمتد جذوره الأولى إلى جامع الزيتونة، إذ يعتبر هذا الجامع الأمين على التراث القومي والحضارة العربية والإسلامية، وقد كان دائما ضد أي محاولات المسخ والتشويه لكيان القومي وتقوية النفوذ الأجنبي على حساب التطور الذاتي داخل تونس وهو التطور الذي ساعد على استمرار الإحتلال الأجنبي لعدة قرون وجعله أمرا عسيرا إذ تأثرت الأمة على الركب الحضاري بل أن العلوم انتكس نكسات فادحة سبب إندثار التراث على يد المحتل. لهذا فإن خريج الزيتونة كان وثيق الصلة بوطنه وشديد التعلق بأمجاده وهذا الوضع هو الذي جعله دائما في الصف المعادي للإستعمار ولم تكن الإدارة الاستعمارية لتثق فيه أو تمنحه أي من الوظائف الحكومية.

وكان الجامع الزيتونة ممولا من مشاريع الأوقاف والعقارات الموقوفة فقد بقي حتى العقد الخامس من القرن الحالي مستقلا ماديا عن الإدارة الفر نسية المباشرة ولهذا احتفظ بشخصية طابعه الخاص فلم يكن لدراسة الفرنسية ولا أي لغة أجنبية أخرى في مناهجه الدراسية[2].

[1]- فلاحي، مرجع سابق، ص 111.

[2]- عبد الله، مرجع سابق، ص 220.

وخلاصة القول أن جامع الزيتونة كان لهدورا فعال من الناحية السياسية، اذ كان له الفضل في تخريج سياسيين قادوا الحركة السياسية لبلادهم وأصبحت السلطات الفرنسية بتونس تحسب لهم ألف حساب وقد كان عبد العزيز الثعالبي دورا من خلال حركة الشباب التونسي وحزب تونس الفتاة والحزب الحر الدستوري الذي كان له صدى بالداخل والخارج لهذا كان رد فعل الاحتلال عنيف من خلال سن المشاريع في الجامع واعتقال المناضلين السياسيين.

خاتمة

من خلال الدراسة والاستقصاء يتضح لنا مجموعة من النتائج وهي كالتالي:

– جامع الزيتونة هو مفخرة لتونس خاصة والعالم الاسلامي عامة وقد اسس على يد كبار الفاتحين كنتيجة لانتصاراتهم في شمال افريقيا لنشر الاسلام فيها اذ يعتبر هذا الجامع الحارس الامين للتراث القومي وقد تجاوزت سمعته البلاد التونسية لتصل الى سائر الأقطار الاسلامية.

– مر جامع الزيتونة عبر التاريخ بمجموعة من العهود عرف خلالها جملة من الترميمات اذ امتاز كل عهد بطابع خاص ميزه على الاخر .

– باعتبار ان الجامع مكانا للصلاة فقد تجاوزت مهمة جامع الزيتونة هذا الشرط اذ كان مكانا للتعليم اشرف عليه مجموعة من العلماء لتدريس ابناء تونس وحتى طلبة من الاقطار العربية الاخرى على أساس هام هو القرآن الكريم وسنة رسول الله بلسان عربي اذ يمر تلامذته على ثلاثة مراحل اساسية هي الاهلية و التطويع و العالمية ،كما احتوى الجامع الأعظم على مكتبتين هامتين أنشأتا عبر التاريخ هما المكتبة الأحمدية و المكتبة العبدلية تحتوي هتان المكتبتان على أنفس الكتب جمعت بين الكتب المغربية والكتب المشرقية حيث تنافس الأمراء بالاعتناء بها فكانتا خير دليل على انتشار الثقافة الاسلامية.

انشاءه المدرسة الصادقية وادخال علوم أخرى تدرس باللغات الأجنبية كالفرنسية والايطالية وانشاء فرع للجامعة الزيتونية ألا وهي المدرسة الخلدونية، مع الحفاظ على الأم في التعليم – وقد مر التعليم في الزيتونة بعدة اصلاحات وقد انتقينا لبحثنا اصلاحات خير الدين باشا كنموذج التي مزجت في طياتها تأثره بأوروبا ومحاولة عصرنة التعليم في الجامع من خلال وهي اللغة العربية.

–كما قمنا بدراسة حول تأثر الطلبة الجزائريين بهذا الجامع واختياره لطلب العلم والمعرفة هربا من السياسة الاستعمارية أنداك.

– تـأثر الطلبـة الجزائـريين بجـامع الزيتونـة وأثـر هـؤولاء الطلبـة بمجـالات الحيـاة المختلفـة التونسية وقد مثلت جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين من أبرز النشاطات الفكرية والعلمية للطلبة في تونس.

-كان لعودة هؤ لاء الطلبـة أثرا كبيرا على المجتمع الجزائري فقد تبلورت على أيدي هؤلاء العلمـاء وعلـى رأسـهم الشيخ عبد الحميد ابن بـاديس "حركـة الاصـلاح الـديني فـي الجزائـر" لتشـمل العديـد مـن المجـالات، للنهـوض بالأمـة الجزائريـة مـن خـلال اعتمـادهم علـى الـدين الاسلامي وتنقيته من التحريفات وذلك من خلال التذكير بالقرآن الكريم وسنة رسوله الكريم وتصـفيتها من الخرافـات، وبعث المقومـات الشخصـية الوطنيـة ،أمـا فـي المجـال الاجتمـاعي والثقافي فقد أنشأ خريجي جامع الزيتونة العديد من المدارس في جميع انحاء الوطن ،كمعهد ابن باديس الذي كان بمثابة همزة وصل بين تأهيل الطلبة في المعهد لتعبيد الطريق نحو جامع الزيتونة، مركزين في دعوتهم في التربية والتعليم باللسان العربي المبين موجهة لجميع فئات المجتمع، الذكور والاناث باعتبار المرأة النواة الأولى لبناء الأسرة والى جانب ذلك فقد اهتمت الجمعية بإنشاء المساجد والنوادي.

– من خـلال النموذج المدروس عبد العزيز الثعالبي يتضح لنا أن الحزب الحر الدستوري كان اكثر نشاطا وشعبية وتنظيم وهذا بفعل ميوله الوطنية.

– في هذا الاطار يتضح لنا بوضوح الدور الخطر الذي كان لجامع الزيتونة والذي كان على مدى العصور منارة علمية ودينية وحتى تعليمية رغم ان سلطة الاحتلال حاولت تكبيله بشتى الطرق والاساليب خصوصا وأن الزيتونيين سواء كانوا من الجزائر أو تونس هم الذين أناروا الطريق، لذا فان المؤسسات الدينية كجامع الزيتونة لم يكن مكانا للصلاة والعبادةفقط، وإنما كانت باعثا على رفض الاستعباد ومحاربة الاحتلال.

– كذلك فان نشاط الزيتونيين في المجال السياسي لصد الاستعمار حمله رجال وهبوا أنفسهم لله والوطن فعملوا بكل جد من أجل ان تحيا بلادهم حرة مستقلة وآمنوا بأن الشيء الثمين يتطلب دوما سعرا غاليا فضحوا بحياتهم وبأوقاتهم وأموالهم وأنفسهم، وقد تأكدوا بأن الرسالة التي يحملونهاأعظم وأثقل وأدركو ا أن العقبة الرئيسية في طريقهم هو المحتل وأتباعه الذين أرادو استغلال الدين لخدمة مصالحهم وابعاد الأمة عن أصالتها ومقوماتها.

– أن التاريخ يقر بأن الأمة المغاربية أمة واحدة من حيث لغتها ودينها وأصلها اذ حدث التلاقي والتلاحم في فترة عصيبة فأحست الأمة بوحدتها ووحدة انتمائها وكانت المؤسسات التعليمية والدينية قد شكلت هذا التلاحم.

الملاحق

الملحق رقم 01: جامع الزيتونة[1]

1- عبد العزيز فيلالي، وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة الإمام عبد الحميد بن باديس الدراسية، ص 49.

الملحق رقم 02: المدرسة الصادقية[1]

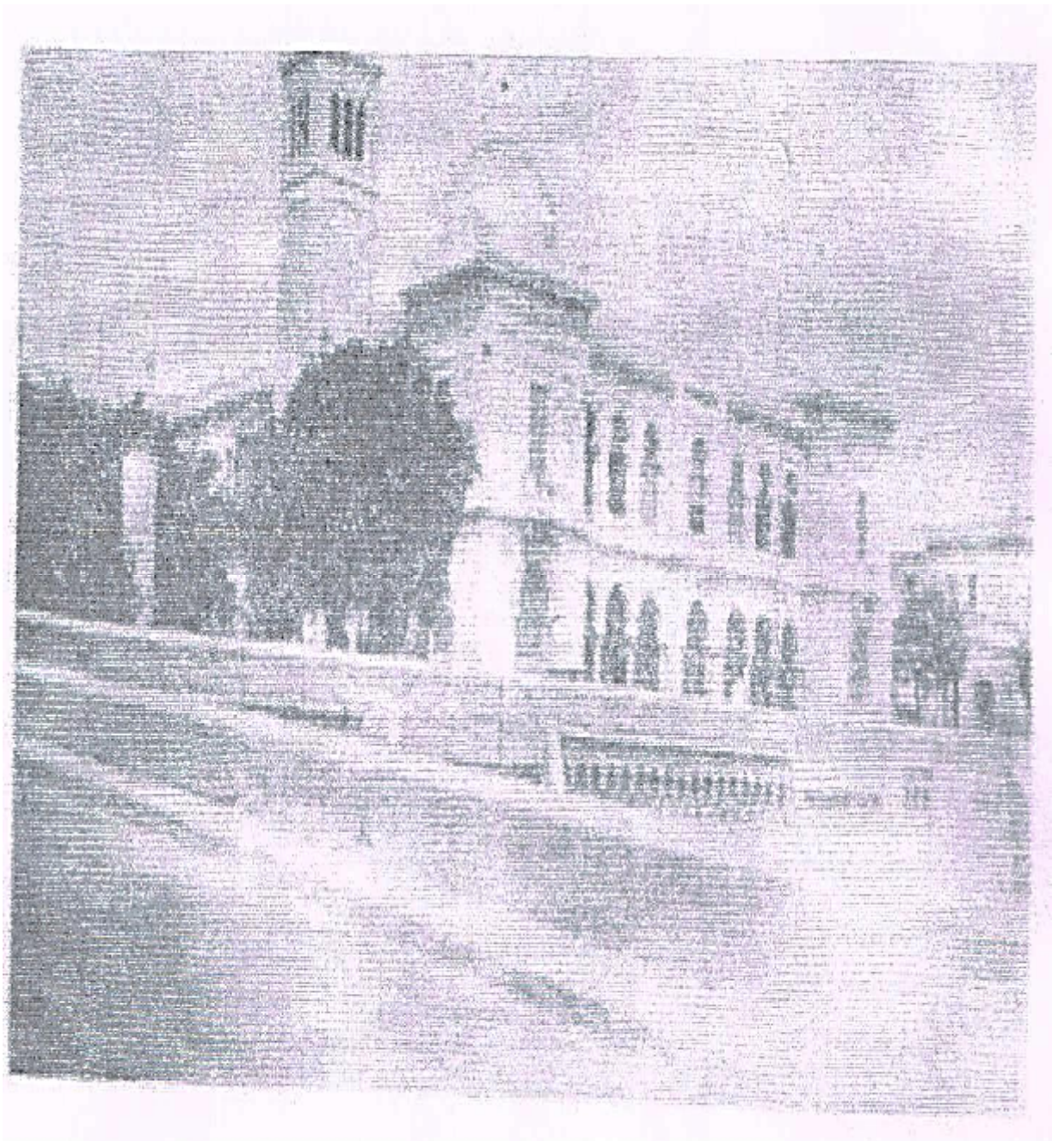

1- ثامر، مرجع سابق، ص 19.

الملحق رقم 03: عبد الحميد بن باديس[1]

1- فيلالي، مرجع سابق، ص 48.

الملحق رقم 04: عبد العزيز الثعالبي[1]

1- الثعالبي، مصدر سابق، ص 06.

البيبليوغرافيا

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1- المصادر:

أ- اللغة العربية:

1- ابن خلدون عبد الرحمن، تاريخ بن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج4، د ط، دار الفكر، لبنان، 2000.

2- ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج 5، د ط، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1968.

3- بن الخوجة محمد، صفحات من تاريخ تونس، تح، الساحل جمادي والجيلالي بن الحاج يحي، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

4- الجابري محمد صالح ، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1962)، د ط، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

5- الجابري محمد صالح، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، دار الحكمة، دط، الجزائر، 2007.

6- بن عاشور محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، تح، محمد الطاهر الميساوي، ط2، دار النفائس، الأردن، 2001.

7- الثعالبي عبد العزيز، تونس الشهيدة، تر، سامي الجندي، ط1، دار القدس لبنان، 1975.

8- الثعالبي عبد العزيز، الكلمة الحاسمة، تق، حسن أحمد جغام، منشورات دار المعارف، تونس، 1989.

9- المدني أحمد توفيق، حياة كفاح (مذكرات) في تونس 1905-1925، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، .1973

10- بن أبي ضياف أحمد ، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، مج 4، ج7، الدار العربية للكتاب، تونس،1999.

11- محجوبي علي ، النهضة الحديثة في ق 19 لماذا فشلت في مصر وتونس ونجحت في اليابان، الدار التونسية للنشر، تونس، 1982.

12- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج 05، دار الكتاب العربي، بيروت، 1965.

13- أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيعي القيرواني المعروف بابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية بحضارتها المحمية، تونس، 1682م.

14- ابن عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والمماليك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دون سنة.

15- عبد الحميد بن باديس، أثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج5، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2005.

ب- باللغة الاجنبية:

1 - A.N.O.M.FR CAOM 39/4232-93/4233, service des liaisons nord-africaines, enquête sur la zitouna, p 36.

2- المراجع:

أ- اللغة العربية:

1- ابن عاشور محمد العزيز، جامع الزيتونة المعلم ورحاله، د ط، دار سراس، تونس، 1991.

2- أمين أحمد، ظهر الإسلام، ج2، ط3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962.

3- بن عميرة محمد، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، د ط،الجز ائر،2008.

4- بوصفصاف عبد الكريم ، الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد عبد باديس، ج1، د ط، دار مداد يوني فارستي، الجزائر، 2009.

5- بيضون جميل وآخرون، تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، 1991م.

6- ثامر الحبيب، هذه تونس، مكتب المغرب العربي، د ط، تونس،1994.

7- الجندي أنور، عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984.

8- حلمي محروس إسماعيل، تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، .2004

9- خرفي صالح، عبد العزيز الثعالبي من آثاره في المشرق والمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1995.

10- ذنون طه عبد الواحد ، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، ط1، المدار الإسلامي، لبنان، .2004

11- زروقة عبد الرشيد ، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913—1940)، ط1، دار الشهاب، لبنان، 1999.

12- الزملي الصادق ، تعريب وتقديم حمادي الساحلي، أعلام تونسيون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

13- زوزو عبد الحميد ، الهجرة الجزائرية ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919-1939)، ط2، الجزائر، 1985.

14- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عهد الاستقلال، ج1، د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2003.

15- شترة خير الدين ، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956، الروابط الحضارية بين القطرين وأثر الجامع الأعظم في الوعي الجزائري، ج1، د ط، دار البصائر، الجزائر، 2009.

16- شترة خير الدين، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956: البعد العربي الإسلامي في نضال النخبة الجزائرية الزيتونية، ج2، د ط، دار البصائر، الجزائر، 2009.

17- شترة خير الدين، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956، الفهارس والملاحق، ج3، د ط، دار البصائر، الجزائر، 2009.

18- الطويلي أحمد، في الحضارة العربية التونسية، د ط، دار المعارف للطباعة، تونس، 1988.

19- عبد الباقي أحمد، معالم الحضارة العربية في القرن 3هـ، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1991.

20- عبد العزيز سالم السيد، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،1998.

21- عبد الله الطاهر، الحركة الوطنية التونسية (رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956)، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس.

22- العجيلي التليلي، الطرق الصوفية والاستعمار في البلاد التونسية (1881-1939)، مج 2، د ط، كلية الآداب بمنوبة، تونس 1922.

23- عطا الله الجمل شوقي ، المغرب العربي الكبير في الحديث (ليبيا تونس الجزائر المغرب)، ط1، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1977.

24- العقاد صالح ، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب)، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1993.

25- عمار هلال ، نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة التحرير (1954-1962)، د ط، دار هومة، الجزائر،2012.

26- عمامرة تركي رابح ، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، ط2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009.

27- العياشي مختار، الزيتونة والزيتونيين في تاريخ تونس المعاصر(1883-1938)، د ط، مركز النشر الجامعي، تونس،2003.

28- العيظري البلشي محمد ، تقديم سعد بوفلاقة، الرحلة المغربية سنة 220هـ، منشورات للبحوث والدراسات، د ط، المغرب،2007.

29-قدورة ز اهية، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، د ط، بيروت.

30- لقبال موسى، تاريخ المغرب الإسلامي، دار هومة، الجزائر، 2005.

31- اللولب حبيب حسن، أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، د ط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013.

32- المالكي أمحمد، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة المغربية، بيروت، 1999.

33- منصور عبد الحفيظ، فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية بتونس، ط1، دار الفتح، بيروت، 1969.

34- مؤنس حسين، المساجد، المجلس للثقافة والفنون والآداب، د ط، الكويت، 1978.

35- الهادي شريف محمد، ما يجب ان تعرف عن تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993.

36- ياغي اسماعيل أحمد، العالم العربي في الحديث والمعاصر، د ط، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997.

37- ياغي اسماعيل أحمد، محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر قارة إفريقية، ج2، د ط، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، 1993.

38- ياغي عبد الله محمد بن عودةو الخطيب ياسين، تاريخ المغرب الحديث، د ط، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1989.

39- ياغي عبد الله محمد بن عودةو عبد السلام أحمد ، مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية، د ط،الشر كة التونسية للتوزيع، تونس، 1986.

40- يحي جلال، تاريخ المغرب العربي الكبير (الفترة المعاصرة)، ج 4، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

ب- اللغة الاجنبية:

1 - Kassal Ahmed, histoir de la tunisie contemporaire, 1er ed tunis, imprimerie société tunisienne de diffusion, 1976.

الرسائل الجامعية:

1- إبراهيم أحمد محمد الشياب، الحياة السياسية في تونس (1857-1881)، رسالة لنيل درجة دكتوراه في التاريخ، إشراف علي محافظة، الجامعة الأردنية، 1998.

2- رابح فلاحي، جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر (1908-1954)، رسالة لنيل شهادة الماجستير إشراف عبد الكريم بوصفصاف، في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، فسنطينة، 2007-2008.

3- قدادرة شايب، الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري 1934-1954 دراسة مقارنة، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الدولة ، إشراف عبد الرحيم سكفالي، في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، 2006-2007م.

4- بوطيبي محمد ، دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900-1930، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف بوعزة بوضرساية، في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2007-2008.

5- محمد حسين، التنظير المقاصدي عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، أطروحة لنيل درجة دكتوراه دولة، إشراف عمار ساسي، في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2002-2003.

المجلات:

1- البشير الابراهيمي محمد، كلمة التصدير، مجلة الشهاب، المطبعة الجزائرية، مج14 ،ج4، جوان- جويلية ،1938.

2- بن خوجة محمد، الأدب، المجلة الزيتونية، مج1، ج5، ع 57، المطبعة التونسية، جانفي 1957.

3- بن محمود محمد المختار، التعليم بجامع الزيتونة وحل مشكلة التلاميذ، المجلة الزيتونية، مج 2، ج1، ع 57، المطبعة التونسية، أكتوبر 1937.

4- بن محمود محمد المختار، جامع الزيتونة من أقدم الكليات، المجلة الزيتونية، مج 2، ج2، ع 57، تونس، المطبعة التونسية، نوفمبر 1937.

5- النيفر الشاذلي، جوانب من حياة ونضال الفقيد محمد الصادق بسيس، مجلة الأصالة، ع 70-71، جوان جويلية، 1977.

6- النيفر علي ، الحركة العلمية والأدبية،المجلة الز يتونية، مج 1، ج5، ع 57، المطبعة التونسية، تونس، جانفي 1937م.

الموسوعات:

1- أبو حمدان سمير، موسوعة عصر النهضة خير الدين التونسي، د ط، دار الكتاب، تونس، 1993.

2- عيد عاطف وميشال حداد حليم ، موسوعة قصة وتاريخ الحضارات العربية والجزائر تاريخية جغرافية حضارية وادبية تونس الجزائر، د ط،1999.

3- الهاشمي عبد المنعم، موسوعة تاريخ العرب في العصر الحديث، د ط، دار البحار، لبنان، 2006.

الفهرس

فهرس الموضوعات

الاهداء

شكر وعرفان

قائمة المختصرات

الملخص

مقدمة..... 01

الفصل الأول: جامع الزيتونة النشأة والتاريخ

المبحث الأول: نشأة جامع الزيتونة..... 09

1- تعريف جامع الزيتونة..... 09

2-تأسيس جامع الزيتونة..... 11

3-أصل تسمية الجامع..... 14

4- مكانة الجامع..... 14

المبحث الثاني: جامع الزيتونة عبر التاريخ..... 17

1- في عهد الولاة..... 17

2- في العهد الأغلبي (184/296هـ-800-909م)..... 18

3- جامع الزيتونة في العهد الفاطمي: (296-362/ 909-973م)..... 19

4- جامع الزيتونة في العهد الحفصي: (07-10هـ/ 13-16م)..... 20

5- جامع الزيتونة من الفتح العثماني إلى ظهور الدولة المرادية: (981-1041هـ/1574-1631م)..... 21

6- جامع الزيتونة في العهد المرادي..... 22

7- جامع الزيتونة في العهد الحسيني: (1117-1377هـ/ 1705-1957م)..... 23

8- جامع الزيتونة في عهد الجمهورية..... 24

الفصل الثاني: الدور التعليمي لجامع الزيتونة

المبحث الأول: التعليم في الجامع 27

1- نظام التعليم في الجامع 27

2- مكتبات الجامع 33

3- خزائن الكتب 36

المبحث الثاني: رواد الإصلاح والتجديد في تونس والجزائر 38

1- تونس: (إصلاحات خير الدين باشا نموذجا) 38

2/ الجزائر (الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة) 46

الفصل الثالث: الدور السياسي لجامع الزيتونة

المبحث الأول: عبد العزيز الثعالبي كنموذج 56

1- التعريف بعبد العزيز الثعالبي 56

2- النشاط السياسي لعبد العزيز الثعالبي 58

3- موقف الاحتلال الفرنسي من الثعالبي 67

المبحث الثاني: النضال السياسي لطلبة الجامع ورد فعل الاحتلال 70

1- النشاط السياسي للطلبة 70

الزيتونيين.....
2- رد فعل الاحتلال ضد نشاط الطلبة 73
الزيتونيين.....
خاتمة..... 81
.....
الملاحق..... 85
.....
البيبليوغرافيا..... 90
.....